الدرر البهيـــة

في

حديث القرآن عن الأمية

الدكتور
عبد الله الشمندي عبد الله محمود العواري
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية أصول الدين ــ بالقاهرة
جامعة الأزهـــر

مقـــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسـلام علـى أشـرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومـن تـبعهم بإحسان إلى يوم الدين ٠

وبعد ٠٠

فإن موضوع الأمية من الموضوعات التـي هـي بحـق مهمة، وجديرة بتسليط الضوء عليها من جميع الجوانب المتمثلة : في تحديد مفومها ، وأسبابها ، وطـرق مكافحتهـا ، والأهـداف المنشودة من وراء ذلك ٠

فتلك أمور لابد من وضعها في الاعتبار عند طرح هـذا الموضوع ٠

ويكتسب هذا الموضوع أهميته من جـراء كـون الأميـة بأنواعها المختلفة ــ التي سنقف عليها إن شاء الله تعـالى عنـد التعريف بها ــ تقف حجر عثرة في طريق تقدم الأمم ونهضتها ٠

لذا أولتها الدول اهتماما ملحوظا فوضـعت كـل دولـة البرامج والخطط تلو الخطط للقضاء عليها ، أو على أقل تقـدير للحد من تفشيها في المجتمعات ٠

ومن بين هذه الدول ــ لا شك ــ الدول الإسلامية التـي من ينظر في واقعها يلحظ أنها ــ وخاصة العربية منها ــ ترزخ تحت نير تلك الأمية التي هي من أسباب تأخرنا فـي مجـالات كثيرة ، رغم أن قرآننا استفتح نزوله بآيات تحض على القـراءة والكتابة والتعلم ، من هنا لا أكون مبالغا إن قلـت : إن شـعار الإسلام الأول هو الحث على العلم ، والقضاء على الأمية بشـتى صورها ٠

ولا أكون مبالغا أيضا ــ إن قلت : إن سر تأخرنا يكمـن في عدم الأخذ بتعاليم الدين مأخذ الجد والاهتمام ، لا في التمسك بها كما يزعم الزاعمون ٠

والمطلع على القرآن الكريم يلحظ ــ وبوضوح ــ أن حديثه عن الأمية يتمثل في :

١ــ حديثه عنها باعتبارها وصفا لبعض أهل الكتاب ، وباعتبارها ــ أيضا ــ وصفا للعرب ، وكذلك باعتبارها وصفا للنبي صلى الله عليه وسلم وهي هنا صفة مدح ولها مع كل صنف معنى خاص ، ومن هنا كان مفهوم الأمية أوسع وأشمع من كونها تعني: عدم القراءة والكتابة ، وستقف بعون الله تعالى على تفصيل ذلك أثناء البحث.

٢ــ في عنايته الفائقة واهتمامه البالغ بمحاربتها وذلك بوضع السبل الكفيلة للقضاء عليها ، وذلك منذ إشراق شمسه على الوجود ، ومع نزول أول آياته في صدر سورة (العلق) .

وستتضح لك هذه الحقيقة من خلال وقوفك ــ بعون الله تعالى ــ على منهج القرآن في محاربة الأمية عند الباب الثالث الخاص بذلك.

ولما كانت الأمية بهذه الأهمية ــ نظرا لآثارها السلبية ــ رأيت أن أشارك في تسليط الضوء عليها من الناحية الدينية التي غالبا ما تكون محفزة للناس خاصة ــ المتدينين منهم أكثر من السياسات والفلسفات البشرية في مثل هذه الأمور ، رجاء أن يهب كل حسب استطاعته في المشاركة للقضاء عليها لا سيما وأنها واجب ديني .

ومشاركتي هذه تتمثل في هذا البحث الذي هو بعنوان: [الدرر البهية في حديث القرآن عن الأمية] راجيا أن تكون محتوياته دررا مضيئة للسالكين .

ويأتلف هذا البحث ، من هذه المقدمة ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة .

يتضمن **الباب الأول** منها : حقائق عامة عن الأمية موزعة على عدة فصول .

والباب الثاني يتضمن الحديث عن الموصوفين بالأمية في القرآن وذلك من خلال ثلاثة فصول .

أما **الباب الثالث** فهو في الحديث عن منهج القرآن في محاربة الأمية ويشتمل على مدخل ، وثلاثة فصول .

وأما الخاتمة فتشتمل على ثلاثة محاور ، والفهارس .

والله أسأل أن يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم ، نافعا ومفيدا في بابه.

وأستغفره تعالى من أي تجاوز أو تقصير .

والحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* * *

الدكتور :

عبد الله الشمندي عبد الله محمود العواري

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين بالقاهرة

الباب الأول

حقائق عـامـة عن الأميـــة

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول : تعريفها
الفصل الثاني : نسبتها
الفصل الثالث : أسبابها
الفصل الرابع : ورودها في القرآن والأوجه التي جاءت عليها
الفصل الخامس : الأمية والجهل.

الباب الأول : حقائق عامة عن الأمية

الفصل الأول

تعريف الأمية :

الأمية مصطلح يعنى ــ كما هو مشهور ــ عدم القدرة على القراءة والكتابة .

وهذا التعريف الذي لا يكاد يذكر العلماء ــ خاصة القدماء منهم ــ سواه، حسبما تراه في كتب المعاجم [١] وغيرها.[٢]

يرى بعض المحدثين أن في الاقتصار عليه تضييقا لمفهوم الأمية الواسع، وأن تعريفها بالمعنى السابق إنما هو بالنظر إلى صورة واحدة ــ تعرف بالأمية الهجائية ــ من بين الصور المتعددة لها .

وإلا فهناك ما يعرف ــ أيضا ــ بالأمية الوظيفية . وهي تعنى جهل الإنسان برسالته في الحياة [٣] ومظهر ذلك في المجتمع يتمثل في ضعف الإنتاج ، وسوء استخدام أدواته ، وسوء الإدارة والنظام .. الخ [٤]

وهذه أخطر من أمية القراءة والكتابة ، أخطر قدرا لأن الذي يقع فيها يفقد الجزء الأعظم من إنسانيته ، وأخطر نسبة لأن الغالبية العظمى من الناس اليوم واقعون في براثنها .[٥]

وهناك ــ أيضا ــ ما يعرف بالأمية الحضارية ، التي هي المناخ الاجتماعي لنمو وانتشار واستمرار الأمية الهجائية ، والأمية الوظيفية . ومظهرها في المجتمع يتمثل في : سوء التفكير وانحراف القيم والمفاهيم ، وسوء العلاقات الاجتماعية وتعقدها .. الخ ، وهذا يعني أن الأمية ظاهرة مركبة ولا يمكن الفصل منهجيا بين مظاهرها السابقة .[٦]

---

(١) لسان العرب لابن منظور حرف الميم فصل الهمزة . مادة (أمم) ٣٤/١٢ دار صادر بيروت - والمعجم الوسيط مادة " أم " ،

(٢) تفسير الطبري ٤٩١/١ . ط أولى دار ابن حزم بيروت

(٣) أزمة التعليم المعاصر د/ زغلول النجار ص ١٦٠ . ط أولى الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، وانظر الموسوعة العربية العالمية ١٢٣/٣

(٤) نظرية المناهج العامة للدكتور على أحمد مدكور ص ١٦٠

(٥) أزمة التعليم المعاصر . ص ١٦٠

(٦) نظرية المناهج ص ١٦١

الفصل الثاني

نسبتها

ينسب الشخص الموصوف بها (الأمي) إما إلى :

١ــ الأم : وهي الوالدة : أي أنه بقي على الحالة التي كان عليها مدة حضانة أمه إياه فلم يكتسب علما جديدا .[١]

ولا يعكر على ذلك أنه لو كان كذلك لكان الوجه في النسب أن يقال (أمهى) بناء على أن النسب يرد الكلمات إلى أصلها ، وقد قالوا في جمع أم (أمهات) ، لأن الأسماء إذا نقلت من حالة الاشتقاق إما جعلها أعلاما قد يقع فيها تغيير لأصلها.[٢]

٢ــ وقيل هو منسوب إلى الأم من جهة أنه أشبه بأمه منه بأبيه لأن النساء في العرب ما كن يعرفن القراءة والكتابة ، وما تعلمنها إلا في الإسلام .. أما الرجال ففيهم من يقرأ ويكتب.[٣]

٣ــ وقيل : منسوب إلى الأمة الذين لم يكتبوا لكونه على عادتهم كقولك " عامي" لكونه على عادة العامة [٤] وهذا القول رجحه ابن تيمية رحمه الله تعالى.[٥]

وبالنظر في هذه الأقوال ، أرى أن القولين الأول والثالث منها ينطبقان على الأمية باعتبارها ظاهرة أممية .

أما القول الثاني فهو ينطبق عليها في بيئات بعينها كالتي لاحظ فيها للإناث في التعلم

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة أمم ٣٤/١٢ ، وغيره من المراجع التي ذكرت ذلك وهي كثيرة جدا .

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٥٧٣/١ ، ونحوه - باختصار - في فتح الباري لابن حجر ١٢٧/٤ ، ط دار المعرفة بيروت

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٣٣/٩

(٤) السابق .. وانظر تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ٢١٩ تحقيق الدكتور عبد العلي الحامد . ط الدار السلفية بومباي الهند

(٥) المصدر السابق .

الباب الثالث
أسباب الأمية

يرجع البعض انتشار الأمية ، وتزايدها المتسارع بكل صورها ـ خاصة في المجتمعات النامية ـ إلى عدة أسباب أهمها :

١ـ **أسباب اقتصادية اجتماعية** : تتمثل في الانفجار السكاني الهائل وتزايد عدد الراغبين في الدراسة ، وندرة الموارد المالية مع ارتفاع مستمر في التكاليف مما أدى إلى تزايد عدد الأميين .

وفي المقابل ـ أيضا ـ ترى عزوف بعض الأسر في بعض المجتمعات عن تعليم أبنائهم ، إما بسبب إرادة ممارستهم لأعمال بعينها تتقنها بعض تلك الأسر ، أو بسبب عدم القدرة على الإنفاق عليهم ، أو بسبب الاحتياج إلى عملهم لمساعدة الأسرة في معيشتها .

٢ـ **أسباب أخلاقية** : تتمثل في عدم التزام بعض المعلمين بما كلفوا القيام به في أشرف مهنة ، حيث نرى مظاهر هذا التقصير في بعض دور التعليم في تلاميذ يصلون إلى نهاية المرحلة الابتدائية ولا يستطيعون القراءة والكتابة وحتى لا يظن البعض أني أبالغ أقسم أنني أعرف من وصل إلى الصف الثاني الاعدادي والثالث ولا يجيد القراءة ولا الكتابة .

وبعض هؤلاء المعلمين يتأول بأن الراتب الذي يتقاضاه لا يستحق أن يبذل في مقابله جهدا لتعليم الأبناء ، ومن أراد أن يتعلم فليلتحق بحصص الدروس الخصوصية ، وينسى هذا المعلم أنه رضي بذلك عند استلام عمله والعقد شريعة المتعاقدين وهو بذلك يأكل سحتا ، ويخون الأمانة ، فليس أمام الفقراء إذا إلا إخراج أبنائهم من المدارس .

٣ـ **أسباب تربوية** ، تتمثل ، في جمود بعض المناهج التي تنفر الطلاب وفي عدم وضع المعلم المناسب في التخصص المناسب ، وفي الكم الذي يلزم الطالب دراسته في كل فصل دون مراعاة للفوارق الفردية والقدرات العقلية المتباينة بين الطلاب ، الأمر

الذي ينعكس سلبا على بعضهم بحيث لا يجد بدا من ترك الدراسة .

٤ـ **تزايد عدد المتخلفين** بسبب الفشل أو الانسحاب أو الحرمان من المقبول نتيجة للسياسات المختلفة المتبعة في ذلك ، وقد وقفت على طرف منها آنفا .

٥ـ **أسباب دينية ونفسية** : تتمثل في أن مناهج التعليم غير الديني تهتم بالجوانب المادية البحتة في حين أنها تهمل الجوانب الروحية والنفسية غير واضعة في الاعتبار أن الإنسان مزدوج التركيب أي ، مكون من مادة وروح ولابد من إرضاء هذين الطرفين وإشباعهما وإلا نجم عن ذلك عكس ما هو مطلوب وذلك بالإحجام عن التعليم .

ولا ينبغي لأحد أن يحتج علينا بفشل (التعليم الكنسي) أي الديني في أوروبا ، لأن الأمر هنا مختلف تماما ، حيث كان التعليم الكنسي يقف حجر عثرة في سبيل أي تقدم ، وقاوم البحث العلمي .. الخ .

أما نحن المسلمين فإن ديننا يأطرنا على التمسك بأسباب الرقي والتقدم وقيادة الإنسانية أطرا ، وآيات القرآن وتوجيهاته خير دليل على ذلك . { ولو كره المجرمون } .

٦ـ جهل الإنسان بالتصور الحقيقي لنفسه ، وللحياة ، وللكون ، ولعلاقته بربه، كل ذلك يجعل منه أميا غير حضاري.

وبالجملة فهذه هي بعض أسباب تفشي الأمية بأنواعها المختلفة .

* * *

الفصل الرابع

ورود الكلمة في القرآن ، والأوجه التي جاءت عليها.

أولا : وردت الكلمة في القرآن في ستة مواضع على النحو الآتي:ـ

١ـ وردت وصفا للنبي صلى الله عليه وسلم في موضعين كلاهما في سورة الأعراف في قوله تعالى : { الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ...} آية ١٥٧ ، وفي قوله تعالى : {فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي ...} آية ١٥٨

وورد في سورة العنكبوت ما يفيد هذا المعنى دون ذكر لفظها الصريح، لذا لم أعد هذا الموضع ضمن المواضع التي جاء فيها ذكر الأمي : قال تعالى: { وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون } آية ٤٨

٢ـ ووردت وصفا للأمة التي بعث منها النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في ثلاثة مواضع .

أحدها : قوله تعالى : { وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم } آل عمران ٢٠

ثانيها : قوله تعالى حكاية عن أهل الكتاب : { ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ... } آل عمران ٧٥

ثالثها : قوله تعالى : { هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم...} الجمعة ٢

٣ـ ووردت وصفا لبعض أهل الكتاب وذلك في موضع واحد.

قال تعالى : { ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ...} البقرة ٧٨

ثانيا : الأوجه التي جاءت عليها في القرآن :ـ

١ـ جاءت بمعنى عدم القراءة والكتابة حسبما تفيده الآيات الواردة في حق النبي صلى الله عليه وسلم .

٢ـ جاءت بمعنى الذين ليس لهم كتاب منزل من الله وإن كانوا يعرفون القراءة والكتابة .. حسبما تفيده الآيات التي وصف فيها العرب بالأميين

٣ـ وجاء لفظ الأمية في كتاب الله بمعنى الحفظ بدون فهم أو تدبر وذلك في وصف الله تعالى لبعض أهل الكتاب ، كما في الآية التي تخصهم فيما سبق . اهـ بتصرف . (١)

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي ، تحقيق الأستاذ محمد على النجار بصيرة ٦١ في الأمي : ١٥٩/٢ ، المكتبة العلمية بيروت
وانظر بنحوه في : تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ٢١٩ ـ ٢٢٠

الفصل الخامس
الأمية والجهل

يشيع بين الكثيرين من الناس أن الأمية والجهل لفظان مترادفان ، فالذي لا يقرأ ولا يكتب جاهل في نظرهم ، في حين أن البعض الآخر يرى أن ثمة فرقا بينهما يتمثل في النقاط الآتية:

النقطة الأولى : أن الأمي من ليس عنده نسبة أصلا أما الجاهل فهو من عنده نسبة ولكنها خاطئة.

لذا وصف القرآن الكريم الناس في عصر ما قبل الإسلام بأنهم جاهلون ووصف عصرهم بأنه عصر الجاهلية ، لأنهم كانوا يعرفون الله ولكن بطريقة خاطئة ، فهم رغم إقرارهم بوجود الله تعالى كما يشير قوله سبحانه : { ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ...} الزخرف ٨٧ وقوله سبحانه : { ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم } الزخرف ١٠، إلا أنهم يعبدون الأصنام والأوثان .

الثانية : تتمثل في علاج كل منهما ، فعلاج الجاهل أقسى من علاج الأمي لأن الأمي يحتاج إلى عملية واحدة ، وهي تزويده بالنسبة الصحيحة أما الجاهل فهو يحتاج إلى عمليتين :

إحداهما : انتزاع النسبة الخاطئة من نفسه .

ثانيتهما : تزويده بالنسبة الصحيحة ... اهـ بتصرف.(١)

قلت : وهذا يعني أنه ممن الممكن أن يكون غير الأمي هجائيا جاهلا من حيث تمسكه بأفكار خاطئة كأصحاب المذاهب الباطلة، والفلسفات الفاسدة ، ونحوهم.

كما أنه من الممكن أن يكون الأمي هجائيا غير جاهل كمن يتلقى العلم عن العلماء الثقات ، ويعقله عنهم بدليله فيكون علمه صحيحا في حين أنه لا يحسن القراءة ولا الكتابة.

وأقول ـ أيضا ـ إن وصف الأمي هجائيا بالجاهل يلزمه تفصيل مفاده، لا يجوز وصفه به مطلقا دون تقييد. أما إذا قيده كأن يقول : فلان جاهل بالقراءة والكتابة ، أو بالأمر الفلاني أي غير عارف به فإني لا أرى فيه غضاضة . والله أعلم.

* * *

---

(١) نظرية المناهج للدكتور: على أحمد مدكور ص : ١٦٠

الباب الثاني

الموصوفون بالأمية في القرآن

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : بعض أهل الكتاب

الفصل الثاني : العــرب

الفصل الثالث : النبي محمد صلى الله عليه وسلم

الباب الثاني
الموصوفون بالأمية في القرآن

الفصل الأول
بعض أهل الكتاب والأمية

وفيه مسائل :

الأولى : الدليل على ذلك .

قال تعالى : { ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون } البقرة ٧٨

المسألة الثانية : المراد بالأميين في الآية .

روى الطبري في هذا قولين : أحدهما : أنهم اليهود وذلك عن أبي العالية ، وثانيهما : أنهم أناس من اليهود وذلك عن مجاهد(١)

قلت : الراجح عندي أنهم بعض اليهود كما قال مجاهد ، وليس كلهم ودليل ذلك

سياق الآيات التي جاءت آتينا هذه ضمنها ، حيث ذكرت هذه الآيات أن اليهود فريقان : فريق يحرفون الكلم بعدما عقلوه، ويكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هذا من عند الله .. الخ ، وفريق أميون لا يعلمون الكتاب ولا يفقهون ما فيه .

قال تعالى : { أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون} البقرة ٧٥

إلى قوله تعالى : { ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون } البقرة ٨٧

(١) تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٩١/١ . ط أولى دار ابن حزم بيروت

هذا فضلا عن دلالة (من) المفيدة للتبعيض في قوله تعالى (ومنهم) .

قال ابن عاشور ــ رحمه الله ــ : قد اشتهر اليهود عند العرب بوصف أهل الكتاب فلذلك قيل هنا : { ومنهم أميون } أي ليس جميعهم أهل كتاب . اهـ (١)

يقصد ليس جميعهم علماء ، أو يقرأون ويكتبون ، ويلحق بهم أمثالهم من النصارى .

المسألة الثالثة : المراد بالأمية في الآية : ــ

روى الطبري في ذلك ــ أيضا ــ قولين :

أحدهما : عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : { ومنهم أميون } قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله ولا كتابا أنزله الله فكتبوا كتابا بأيديهم ثم قالوا لقوم سفلة جهال : { هذا من عند الله } .

فأخبر أنهم يكتبون بأيديهم ، ثم سماهم (أميين) لجحودهم كتب الله ورسله .

ثانيهما : عن سفيان عن منصور عن إبراهيم { ومنهم أميون } قال منهم من لا يحسن أن يكتب .

ثم رجح ــ أي الطبري القول الثاني ، وقال : هذا التأويل هو المستفيض من كلام العرب ، وقول ابن عباس رضي الله عنهما خلاف هذا اهـ بتصرف .(٢)

بل رواية ابن عباس رضي الله عنهما هذه في صحتها

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٥٧٣/١
(٢) تفسير الطبري ٤٩٢/١

نظر ــ كما قال الحافظ ابن كثير [١] ، لأنها من طريق الضحاك ، والضحاك لم يلق ابن عباس رضي الله عنهما كما هو مشهور . والله أعلم .

قلت : إن القول المنسوب إلى ابن عباس رضي الله عنهما في هذا المقام إنما يصدق على الفريق الأول ، لا على الفريق الثاني الموصوف بالأمية في الآية .

وما رجحه الطبري رحمه الله تعالى يتفق مع المعنى المشهور للأمية .

لكن يبقى في المسألة بحث حيث إن كلمة (أميون) في الآية مفسرة بما بعدها وهو قوله تعالى : { لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون} البقرة ٧٨

وعليه فإذا أردنا معرفة المراد من كلمة (أميون) فعلينا معرفة معنى { لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون }.

قال الحافظ ابن كثير : { لا يعلمون الكتاب } لا يدرون ما فيه وهو ظاهر قول مجاهد ، إن الأمي هو من لا يحسن الكتابة[٢]

قوله تعالى { إلا أماني } ذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى أن الزجاج والكسائي قالا : أي تلاوة فهم لا يعلمون فقه الكتاب[٣] وإنما يقتصرون على ما يسمعونه يتلى عليهم .

وذكر عن ابن السائب قوله : لا يحسنون قراءة الكتاب ولا كتابته إلا ما يحدثهم به علماؤهم .

وذكر عن أبي روق ، وأبي عبيدة قولهما : أي تلاوة وقراءة عن ظهر قلب ولا يقرأونها في الكتب .

ثم قال ابن تيمية رحمه الله ، ففي هذا القول ــ يقصد الأخير ــ جعل الأماني التي هي التلاوة تلاوة الأميين أنفسهم .

وفي ذلك ــ يقصد القول الأول ــ جعله ما يسمعونه من تلاوة علمائهم .

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢١/١ ط ٩ دار المعرفة بيروت
(٢) تفسير ابن كثير ١٢٠/١
(٣) ذكر ذلك ابن كثير . أيضا وعزاه إلى مجاهد ، المرجع السابق ص ١٢١

ثم قال : وكلا القولين حق ، والآية تعمهما فإنه سبحانه قال: { لا يعلمون الكتاب } ولم يقل : لا يقرأون ولا يسمعون ، ثم قال { إلا أماني } وهذا استثناء منقطع . معناه ، لكن يعلمون أماني إما بقراءتهم لها ، وإما بسماعهم قراءة غيرهم .

وإن جعل الاستثناء متصلا ، كان التقدير : لا يعلمون الكتاب إلا علم أماني لا علم تلاوة فقط بلا فهم .

والأماني جمع أمنية وهي التلاوة ومنه قول الشاعر [١]

تمنى كتاب الله أول ليلة .. وآخرها لاقى حمام المقادر

ثم قال : قوله تعالى : { لا يعلمون الكتاب إلا أماني } . أي لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة لا يفهمون معناها ، وهذا يتناول من لا يحسن الكتابة ولا القراءة من قبل ، وإنما يسمع أماني علما كما قال ابن السائب ، ويتناول من يقرأ عن ظهر قلبه ولا يقرأه من الكتاب كما قال أبو روق وغيره .

ويتناول ــ أيضا ــ من يحسن الحظ والتلاوة ولا يفهم ما يقرأه ويكتبه كما قال ابن عباس وقتادة : غير عارفين معاني الكتاب يعلمونها حفظا وقراءة بلا فهم ولا يدرون ما فيه .

ثم قال : والكتاب هنا : المراد به : الكتاب المنزل وهو التوراة ليس المراد به الحظ فإنه قال : { وإن هم إلا يظنون } فهذا يدل على أنه نفي عنهم العلم بمعاني الكتاب

وإلا فكون الرجل لا يكتب بيده لا يستلزم أن يكون لا علم عنده ، بل يظن ظنا ، بل كثير ممن يكتب بيده لا يفهم ما يكتب ،

(١) يقصد كعب مالك وهو يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه ، انظر المرجع السابق ص ١٢١

وكثير ممن لا يكتب يكون عالما بمعاني ما يكتبه غيره . اهـ [١]

قلت : وخلاصة القول في معنى الأمية هنا : أنها : الحفظ والتلاوة بدون فهم أو تدبر بغض النظر عن كونهم يحسنون الكتابة والقراءة ، أو كونهم لا يحسنونهما .

يدل لذلك ــ فوق ما سبق ــ أمران :

أحدهما : ما سبق أن وقفت عليه عند تعريفنا للأمية من أن معناها لا يقف عند عدم القدرة على الكتابة والقراءة ، وإنما لها معان أخرى منها ما جاءت الإشارة إليه في هذه الخلاصة.

ثانيهما : أن الذم المتوجه إليهم لا لمجرد كونهم أميين بمعنى لا يقرأون ولا يكتبون ، وإنما لما سبق استخلاصه آنفا .

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : وليس في كون الرجل لا يحظ ذم إذا قام بالواجب ، وإنما الذم على كونه لا يعقل الكتاب الذي أنزل إليه سواء كتبه وقرأه أو لم يكتبه ولم يقرأه

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم [هذا أوان يرفع العلم] فقال له زياد بن لبيد : كيف يرفع العلم وقد قرأنا القرآن ؟ فوالله لنقرأنه ولنقرأنه نساءنا فقال له : [إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة أو ليست التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى ؟ فماذا تغني عنهم ؟] وهو حديث معروف رواه الترمذي وغيره. [٢]

ولأنه قال تعالى قبل هذا : { وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون } البقرة ٧٥

فأولئك عقلوه ثم حرفوه وهم مذمومون سواء كانوا يحفظونه بقلوبهم ويكتبونه ويقرأونه حفظا وكتابة ، أو لم يكونوا كذلك

فكان من المناسب أن يذكر الذين لا يعقلونه وهم الذين لا يعلمونه إلا أماني ، وهؤلاء وإن كانوا يكتبون ويقرأون فهم أميون من أهل الكتاب ، كما نقول نحن لمن كان كذلك : هو

([1]) تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ٢١٨ فما بعدها ، ط أولى الدار السلفية بومباي الهند .

([2]) سنن الترمذي ، ك العلم ، ب ٥ ما جاء في ذهاب العلم حديث رقم ٢٦٥٣ ، قال الترمذي : حديث حسن غريب وسنن ابن ماجة . ك الفتن . ب ٢٦ ذهاب القرآن والعلم برقم ٤٠٤٨ ومسند الإمام أحمد ٢١٩/٤

أمي، وساذج ، وعامي ، وإن كان يحفظ القرآن ويقرأ المكتوب إذا كان لا يعرف معناه . اهـ [١]

وبنحو ما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى ، قال آخرون [٢] وإن كان مختصرا

المسألة الرابعة : تفريع على ما سبق .

إن الذي جاء في وصف هذه الطائفة من أهل الكتاب يجوز أن يوصف به كثير من متأخري المسلمين بعد الصدر الأول من الإسلام ، إذ كثر من يحفظون القرآن بدون فهم أو تدبر .

وهذا ما نهانا الله عنه وأمرنا بخلافه [٣]

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : وذلك أن الله تعالى قال { كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته } ص ٢٩

وقال : { أفلا يتدبرون القرآن .. } النساء ٨٢ ، وقال : { أفلم يدبروا القول } المؤمنون ٦٨ .تدبر الكلام دون فهم معانيه لا يمكن.

وكذلك قال تعالى : { إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون} وعقل الكلام متضمن لفهمه ، ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه معانيه دون مجرد ألفاظه ، فالقرآن أولى بذلك . اهـ [٤]

وعليه فكل من يحفظ الكتاب الكريم ، أو يتلوه ، ولا يفهم معانيه فهو أمي بهذا الاعتبار .

وقد ثبت في الصحيحين واللفظ للبخاري ــ عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا ، وذراعا ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب

([1]) تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ٢٢١ - ٢٢٢

([2]) انظر على سبيل المثال : تفسير المنار لرشيد رضا : ٣٥٩/١ . ط ٢ ، دار المعرفة بيروت ، ومحاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي ١٧٣/٢ ط ٢ دار الفكر بيروت .

([3]) المدخل إلى الثقافة الإسلامية د/ محمد رشاد سالم ص ١٠٢

([4]) مقدمة في أصول التفسير ص ٦ - ٧

تبعتموهم] قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : (فمن]؟[١]

يقول ابن تيمية رحمه الله : فهذا دليل على أن ما ذم الله به أهل الكتاب في هذه الآية [٢] يكون في هذه الأمة من يشبههم فيه، وهذا حق قد شوهد.[٣] قال ذلك ابن تيمية في زمانه فماذا عساه كان قائلا لو رأى زماننا هذا !!!

ولا يشكل علينا في هذا المقام : أن يقال إن أكثر القرآن أو كثيرا منه لا يعلمه أحد من الخلق إلا أماني (أي تلاوة) لا جبريل ، ولا محمد صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة ، ولا أحد من المسلمين ، فإن هذا تشبيه لهم بهؤلاء فيما ذمهم الله به .

ذكر ذلك ابن تيمية بعد أن مهد له بما هو جواب عليه فقال : .. إن الله تعالى ذم الذين لا يعرفون معاني القرآن ولا يتدبرونه ولا يعقلونه ، كما صرح القرآن بذمهم في غير موضع، فيمتنع مع هذا أن يقال ... وذكر ما سبق عند إثارة هذا الإشكال ـ [٤] ثم من أين لهم أن من ذكروهم لا يعلمون معاني القرآن ؟ !!

***

ثم قال : فإن قيل : أفلا يجب على كل مسلم معرفة معنى كل آية ؟

قيل : نعم ، لكن معرفة معاني الجميع فرض على الكفاية، وعلى كل مسلم معرفة ما لابد منه ، وهؤلاء ذمهم الله لأنهم لا يعلمون معاني الكتاب إلا تلاوة ، وليس عندهم إلا الظن ، وهذا

(١) صحيح البخاري ك الاعتصام ١٤ قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من قبلكم . برقم ٧٣١٩

(٢) يقصد آية { ومنهم أميون ... }

(٣) تفسير سورة الإخلاص له . ص ٢٢٥

(٤) المرجع السابق ص ٢٢٢

يشبه قوله تعالى { وإنهم لفي شك منه مريب } فصلت ٤١ اهـ[١]

فلنحرص على ألا يكون حظنا من القرآن ألفاظا ترددها فحسب أو مصاحف نضعها في بيوتنا وسياراتنا للتبرك فقط .

بل ليكن إلى جانب ذلك الفهم والتدبر ، وبالتالي العمل ، حتى لا نذم كما ذم هؤلاء في هذه الآية .

وفي قوله تعالى : { مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين } (الجمعة ٥ نسأل الله معافاته)

* * *

(١) مجموعة فتاوي ابن تيمية ١٧/٤٤٠ جمع وترتيب عبد الرحمن النـ.ي الحنبلي ط أولى .

الفصل الثاني
العرب والأمية

وفيه عدة مسائل :

المسألة الأولى : الأدلة القرآنية على وصف العرب بالأمية

قال تعالى : { وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا ... الآية } آل عمران ٢٠

وقال تعالى : { ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ... } آل عمران ٧٥

وقال تعالى : { هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين } الجمعة ٢

قلت : محل وفاق بين العلماء على أن المراد بـ (الأميين) هنا العرب

المسألة الثانية : حال الكتابة العربية والقراءة قبل مجئ الإسلام

كان الترتيب الطبيعي يقضي أن أتحدث في هذه المسألة عن معنى (الأمية) الموصوف بها العرب في الآيات .

لكن الحكمة توجب هنا تقديم الحديث عن أحوال العرب مع القراءة والكتابة قبل مجئ الإسلام كمدخل إلى الحديث عن المراد بالأمية المذكورة ، لأن ذلك سيساعدنا كثيرا ــ فيما أعتقد ــ على الموازنة بين الأقوال الواردة في معناها .

أما عن حال الكتابة العربية والقراءة قبل مجئ الإسلام فيتجلى ذلك واضحا ــ إن شاء الله تعالى ــ من خلال وقوفك على آراء العلماء الذين هم إزاء هذه القضية فريقان :

الفريق الأول منهما : يرى أن الكتابة عند العرب كانت قليلة ونادرة حيث قالوا قد شاع معنى الأمية منذ العصر

الإسلامي على أنه عدم الإلمام بالقراءة والكتابة ، ومن ثم أصبح التصاق هذا الوصف بعرب الجاهلية أمرا واردا .[١]

فمن كتاب العصر الإسلامي الذين وصفوا عرب الجاهلية بعدم معرفة الكتابة الجاحظ[٢] وابن عبد ربه[٣] وابن قتيبة[٤]

وقد ذهب البلوي إلى القول بانعدام الكتابة عند العرب في الجاهلية وأن الشعر قد جعل لهم عوضا .[٥]

وممن ذهب إلى هذا من المحدثين الدكتور إبراهيم أنيس وذلك حيث يقول : أما جهل العرب بالكتابة والقراءة فيمكن الاستدلال عليه بكثير من الحوادث التاريخية الصحيحة ، ومن آية مثل آية الدين فهي تشير إلى ندرة الكاتبين في بيئة الحجاز ، وكذلك مما ذكره البلاذري من أن الإسلام جاء وليس في قريش من يكتب إلا سبعة عشر ، فإذا كان هذا شأن قريش مع تقدمها التجاري وسلطانها بين العرب فما بالك بحال القبائل الأخرى اهـ بتصرف [٦]

ومن هؤلاء المحدثين الأستاذ حفني ناصف ، حيث قال : فإذا وجد فيهم من يكتب ويقرأ فإنما هو نزيل هبط إليهم ، أو آيب من سفر بعد طول إقامة في أرض متحضرة ، أو آخذ عن هذين،

---

(١) العرب في العصور القديمة د/لطفي عبد الوهاب يحي . ص ٢٧٤ . ط ٢ دار النهضة العربية بيروت

(٢) البيان والتبيين ٢٠/٣ ط ٢ دار مكتبة الهلال بيروت .

(٣) العقد الفريد : ٢١٢/٤ ط دار الفكر بيروت .

(٤) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ط ١٣٢٦ هـ

(٥) طبقات فحول الشعراء ص ٢٢ ، نقلا عن : رسم المصحف ودفع الشبهات التي أثيرت حوله د/ عبد الفتاح عبد الغني .

(٦) دلالة الألفاظ . ص ١٨٩ ، الطبعة السابعة مكتبة الأنجلو المصرية .

وهو نادر . اهـ [١]

ومال إلى هذا الاتجاه الدكتور: محمد عبد العظيم الزرقاني الذي قال : إن الأمة العربية كانت موسومة بالأمية مشهورة بها لا تدري ما الكتابة ولا الحظ ، وجاء القرآن متحدثا عن أميتها هذه ـ وذكر آية الجمعة السالفة الذكر ـ ثم قال : ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا أفراد قلائل في قريش تعلموا الخط ودرسوه قبيل الإسلام ، وكأن ذلك كان إرهاصا من الله وتمهيدا لمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وتقرير دين الإسلام ، وتسجيل الوحي المنزل عليه القرآن ، لأن الكتابة أدعى إلى حفظ التنزيل ، وضبطه ، وأبعد عن ضياعه ونسيانه . اهـ [٢]

الفريق الثاني :

يرى ممثلوا هذا الفريق ـ وهم كثر ـ أن القراءة والكتابة كانتا منتشرتين في العرب قبل مجئ الإسلام .

ويدل لذلك عدة أمور منها :

١ـ النقوش التي اكتشفت في شبه الجزيرة العربية وما حولها ، بل هناك نقش عربي وجد في مصر يرجع إلى العصر البطلمي (٣٠١ ـ ٣٠ ق.م) ومدون بالخط العربي على تابوت التاجر المعيني (زيد إيل) والتابوت محفوظ في المتحف المصري بالقاهرة ، مسجل عليه معاملات بين هذا الرجل وبين كهنة المعابد المصرية ، وأن الرجل يستعمل سفينة في البحر لنقل السلع بين مصر وشبه الجزيرة العربية .. [٣] وهذه النقوش المكتشفة فيها ما يتصل بكل مجالات الحياة .

وهذا النوع من النصوص هو عادة أدق في تصويره للحقيقة التاريخية من غيره من النصوص ، مثل تلك التي ترد

(١) تاريخ الآداب ٣٤/١ نقلا عن رسم المصحف لزميلنا د/ عبد الفتاح عبد الغني بحث بحولية كلية أصول الدين القاهرة عدد ١٧ صفحة ١٧٢

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن له ٣٦١/١ ـ ٣٦٢ ، ط دار إحياء الكتب العربية مصر .

(٣) العرب في العصور القديمة ـ مرجع سابق ص : ١٤٧ ـ ١٥٥

ضمن كتابات تاريخية ، قد لا يكون كاتبها معاصرا للأحداث التي يؤرخ لها ، أو قد يكون منحازا لسبب أو لآخر . [١] وبنحو ذلك قال الدكتور: شوقي ضيف . [٢]

٢ـ الروايات العربية التي تشير إلى ممارسات كتابية متعددة سواء في مدن الحجاز ، أو في الحواضر العربية في أطراف الجزيرة .

فقد ذكر ابن النديم في الفهرست أن وثيقة بخط عبد المطلب بن هاشم جد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت محفوظة في خزانة كتب المأمون [٣] فيها ذكر دين لعبد المطلب على أحد رجال اليمن .

ومعنى هذا أن كتابات الجاهلية قد بقيت وتوارثتها الأجيال اللاحقة ، ولا مجال للشك في كتابة هذا الدين ، فقد كانوا في الجاهلية يكتبون الديون والأحلاف والهدنة أي العهود والمواثيق .. [٤]

وأيضا ـ فهذا قصى بن كلاب يكتب من مكة إلى أخيه ابن أمه رزاح بن ربيعة بن حرام العذري في مشارف الشام يدعوه إلى نصرته والقيام معه في منازعة خزاعة وبني بكر أمر مكة . [٥] وهذا يعنى انتشار الكتابة في مكة قبل الإسلام لأنها كانت مركزا تجاريا وكانت الحضارة فيها أوسع مما حولها ، فلابد أن يكون بين سكانها جماعة من القراء الكاتبين .

(١) العرب في العصور القديمة ـ مرجع سابق ص : ١٤٧ ـ ١٥٥

(٢) انظر العصر الجاهلي ص ٣٥ ـ ٣٦ ط ٨ دار المعارف القاهرة

(٣) الموسوعة العربية العالمية ١٣٠/١٩ ، ط أولى مؤسسة أعمال "موسوعة للنشر الرياض .

(٤) السابق ، وانظر معه : في أصول الكتابة العربية د/ موافي وآخرين ص ٢٢ ط ١٩٩٢م

(٥) سيرة ابن هشام ١١٨/١ تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت

ومن المعلوم أن العرب حرصوا على تدوين قصائدهم ، أو بعضها[١] من أمثال المعلقات السبع ، التي قيل : إنها كتبت بماء الذهب على القباطي ثم علقوها بالكعبة ، وقد بقى بعضها إلى يوم فتح مكة ، وذهب بالبعض الآخر حريق أصاب الكعبة قبل الإسلام .[٢]

ومن ذلك كتابتهم صحيفة المقاطعة لبني هاشم وتعليقها في جوف الكعبة[٣]

٣ــ ذكر البلاذري في فتوح البلدان أسماء أربعة وعشرين شخصا من مكة كانوا يعرفون الكتابة والقراءة في تلك الفترة ، سبعة عشر من الذكور ، وسبعا من النساء .[٤]

قلت : هذا العدد ــ وإن كان لا يمثل الواقع تماما فيما أرى ــ يفيد أن هناك من كان يقرأ ويكتب .

هذا بالنسبة لمكة ، أما بالنسبة للمدينة فإن حالتها لا تختلف كثيرا عنها في مكة ، فقد ذكر البلاذري في فتوح البلدان ــ أيضا ــ أن الذين كانوا يعرفون الكتابة من أهلها صدر الإسلام سبعة[٥] وهذا العدد ــ أيضا ــ لا يمثل الواقع ، فقد ذكر غير واحد أن بعض اليهود في المدينة كان لهم أثر في انتشار الكتابة هناك فقد تعلم هؤلاء البعض كتابة العربية ، وكان يعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول .[٦]

(١) العرب في العصور القديمة ، مصدر سابق ص ٢٧٩
(٢) تاريخ الأدب العربي لمؤلفه أحمد حسن الزيات ص ٢٨ ط ٤ دار المعرفة بيروت
(٣) تاريخ الأدب العربي لمؤلفه أحمد حسن الزيات ص ٢٨ ط ٤ دار المعرفة بيروت
(٤) الموسوعة العربية العالمية ـ مدصر سابق ١٣١/١٩
(٥) المصدر السابق
(٦) رسم المصحف ودفع الشبه حوله د/ عبد الفتاح عبد الغني ص ١٢

٤ــ وإذا تركنا قلب الجزيرة إلى أطرافها الشمالية نجد الروايات العربية الكثيرة تؤكد استخدام الكتابة على نطاق واسع .[١]

من هذا القبيل كتاب الملك عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين بشأن الشاعر طرفة بن العبد وخاله المتلمس .[٢]

وقد امتد انتشار الكتابة العربية إلى أطراف الشام ، فقد روى البخاري أن ملك غسان أرسل إلى كعب بن مالك كتابا يدعوه فيه أن يلحق به بعدما كان من قصة تخلفه عن غزوة تبوك ، وجفاء المسلمين له ولصاحبيه .[٣]

* * *

٥ــ وفي الواقع فإن ممارسة الكتابة في المجتمع الجاهلي أمر يؤكده القرآن بشكل متكرر متواتر ، والقرآن الكريم إلى جانب وصفه ككتاب من عند الله لا يرقى الشك إلى ما جاء فيه ــ هو كذلك وثيقة ظهرت في هذا المجتمع الجاهلي، وكانت آياته تدون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أي في وقت نزولها ... ولا يقتصر القرآن على الإشارة إلى الكتابة ، ولكنه يشير إلى الكتب والكتاب ، وما كانوا يتخذونه من أدوات الكتابة ...[٤]

وقد كان هناك عدد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتبون له الوحي وكانوا كثرا وكذلك كان منهم من يكتب كل ما يهم أمر الأمة من رسائل إلى الملوك والأمراء ومن معاملات بين الناس ،

كل هذا يؤكد الحالة التي كانت عليها الكتابة العربية في الحجاز قبل الإسلام لأن معظم الصحابة إنما نشأوا واكتسبوا خبراتهم الحياتية في الجاهلية

(١) انظر : العرب في العصور القديمة مصدر سابق انظره في أكثر من موضع .
(٢) تاريخ الأدب العربي للدكتور/ أحمد حسن الزيات ص ٤٨ ط ٤ ار المعرفة بيروت .
(٣) صحيح البخاري ك المغازي ب حديث كعب بن مالك رقم ٤٤١٨
(٤) العرب في العصور القديمة مصر سابق ص ٢٧٥

وبعد استعراضنا لأدلة وأقوال كل فريق يمكننا أن نخلص إلى أن القول بانعدام الكتابة والقراءة عند العرب قبل مجئ الإسلام قول فيه تسامح ملحوظ، وقد لا يمثل الواقع تماما ــ فيما أرى ــ والله أعلم ٠

وكذلك الحال بالنسبة لأقوال الفريق الثاني ، فإنها ــ وإن أفادت انتفاء ما قيل من ندرة الكتابة ، أو انعدامها ــ قد لا تعني انتشار الكتابة والقراءة انتشارا واسعا ملحوظا ٠

لذا أرى أن أجمع عبارة يمكن أن تعبر عن رأي وسط بين الرأيين السابقين ، هي عبارة العلامة ابن فارس وذلك حيث يقول : إنا لا نزعم أن العرب كلها مدرا ووبرا قد عرفوا الكتابة كلها والحروف أجمعها ، وما العرب في قديم الزمان إلا كنحن اليوم ، فما كل يعرف الكتابة والخط والقراءة ٠[1] اهـ وبنحو ذلك قال آخرون ٠[2]

٠ ٠ ٠

تفريع :

مصدر الكتابة والخط العربي

قال ابن خلدون : فالقول بأن أهل الحجاز إنما لقنوها ــ يعني الكتابة ــ من الحيرة ، ولقنها أهل الحيرة من التبابعة وحمير هو الأليق من الأقوال،

ثم قال : رأيت في كتاب التكملة لابن الأبار عند التعريف بابن فروخ القيرواني الأندلسي من أصحاب مالك رضي الله عنه، واسمه عبد الله بن فروخ بن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن أبيه قال : قلت لابن عباس رضي الله عنهما : يا معشر قريش خبروني عن هذا الكتاب العربي ، هل كنتم تكتبونه قبل أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم تجمعون منه ما اجتمع، وتفرقون

(١) الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص ٤٠ تحقيق د/ عمر الطباع ٠ ط مكتبة المعارف بيروت ٠
(٢) الأدب الجاهلي قضاياه ـ أغراضه د/ غازي طليمات وغرمال الأشقر ص ٣٨ ط ١ دار الإرشاد بحمص

منه ما افترق ، مثل الألف واللام ، والميم ، والنون ؟ قال : نعم ، قلت : وممن أخذتموه ؟ قال : من حرب بن أمية قلت : وممن أخذه حرب ؟ قال : من عبد الله بن جدعان ، قلت : وممن أخذه عبد الله بن جدعان ؟ قال : من أهل الأنبار ، قلت : وممن أخذه أهل الأنبار ؟ قال من طارئ طرأ عليهم من أهل اليمن ، قلت : وممن أخذه ذلك الطارئ ؟ قال : من الخلجان بن القسم كاتب الوحي لهود النبي عليه السلام ٠ اهـ [1]

وهذه الرواية ذكرها غير واحد [2] ومنهم من زاد روايات أخرى لكنها تلتقي جميعها عند حرب

المسألة الثالثة : المراد بالأمية الموصوف بها العرب

للعلماء في المراد منها قولان :

أحدهما : عدم الكتابة ، روى ذلك الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما ٠[3]

ثانيهما : الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب [4] سواء أكانوا يكتبون ويقرأون أم لا ٠

وقد برع في هذا المقام قلم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وذلك حيث يقول :

ويقال : الأمي لمن لا يقرأ ولا يكتب كتابا ، ثم يقال : لمن ليس لهم كتاب منزل من الله يقرأونه ، وإن كانوا قد يقرأون ويكتبون ما لم ينزل ٠ وبهذا المعنى ــ يقصد الثاني ــ كان العرب كلهم أميين ، فإنه لم يكن عندهم كتاب منزل من الله تعالى، قال تعالى : { هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم } الجمعة٢

وقال تعالى : { وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أ أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا } آل عمران ٢٠

(١) مقدمة ابن خلدون ٧٤٢/٢ ط دار الكتاب اللبناني
(٢) مناهل العرفان للزرقاني ٣٦٢/١ ـ ٣٦٣ ، وانظر : تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني ص ٥٥ ـ ٥٧ ، ط دار الحكمة دمشق ٠
(٣) تفسير الطبري ٢٧٨/٣
(٤) المصدر السابق ، وانظر تفسير ابن كثير ٣٨٢/١ ، وبصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي بصيرة ٦١ في الأمي ١٥٩/٢

وقد كان في العرب كثير ممن يقرأ المكتوب ويكتب ، وكلهم أميون ، فلما نزل القرآن عليهم لم يبقوا أميين باعتبار أنهم لا يقرأون كتابا من حفظهم ، بل هم يقرأون القرآن من حفظهم وأناجيلهم في صدورهم ، لكن بقوا أميين باعتبار أنهم لا يحتاجون إلى كتابة دينهم بل قرآنهم محفوظ في قلوبهم . كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل [.... إني مبتليك ومبتل بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظانا] (١) اهـ المط (٢)

وقال البعض : إن الأمية التي تذكرها الآية ــ يقصد آية الجمعة ــ لا تعنى الجهل بالقراءة والكتابة ، وإنما تعني الجهل بما جاءت به الكتب السماوية من قيم روحية ، وأخلاقية واجتماعية ، والنصف الثاني من الآية يشير إلى هذا المعنى بشكل واضح ، وهو معنى يؤكده القرآن في آيات أخرى يفرق فيها بين أهل الكتاب وبين الأميين . اهـ (٣)

وبعد : فإن حلا لأحد القول بإمكانية الجمع بين القولين ، وذلك على اعتبار أن كونهم لا يكتبون ولا يقرأون نتيجة طبيعية لكونهم لا كتاب سماوي لهم وذلك لأن الكتب المنزلة تدفع الناس نحو التعلم كما هو عليه الحال في القرآن الكريم من حثه الناس ، بل دفعهم دفعا نحو ذلك . وسيأتيك الحديث مفصلا إن شاء الله تعالى عن موقف القرآن من هذه القضية في الباب التالي فنترقبه رعاك الله .

وعلى ذلك فهم أميون من جهة كونهم لا كتاب لهم ، ومن جهة كونهم لا يكتبون ولا يقرأون .

(١) صحيح مسلم ك الجنة ، ب ١٦ الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار رقم ٦٣ (٢٨٦٥)

(٢) تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ ، ط الدار السلفية بومباي الهند .

(٣) العرب في العصور القديمة ـ مصدر سابق ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥

قلت : هذا القول في ظاهره شئ من الوجاهة لكن عند التدقيق ندرك أنه لا يمكن أن يكون الأولى بالصواب في هذا المقام . للآتي :

أولا : لما سبق أن عرفنا أن منهم من كان يقرأ ويكتب ولا يمكن إغفال ذلك بحال .

فإن قيل : إن عدد الذين كانوا يقرأون ويكتبون نزر يسير بجانب تلك الكثرة الغامرة من الأميين . نهذا لم يعتد بتلك القلة الكاتبة والقارئة .

قلت : ومن أين لهم أنهم نزر يسير ؟ أمن أمثال روايات البلاذري الواردة في ذلك ؟ لقد عرفنا أنها قد لا تمثل الواقع تماما وإلا فمن أين له هذا الحصر ؟ فما مثله في هذا إلا كمثل قول أنس رضي الله عنه [مات رسول الله ولم يجمع القرآن إلا أربعة] وذكر أسماؤهم (١) علما بأن الذي جمعه كثيرون ، وكان من بين التوجيهات لذلك ، أنه لا يراد بهذا الحصر وإنما ضرب المثل ، وإلا فمن أين له أن الواقع كذلك . (٢)

ثانيا : ولأنه يلزم بناء على ذلك أن تزول عنهم أمية القراءة والكتابة بنزول الكتاب ، وذلك لأن النتائج تتبع مقدماتها وجودا وعدما غالبا والواقع خلاف ذلك من حيث أن الكتاب قد نزل عليهم وظل ولا يزال فيهم من لا يقرأ ولا يكتب فتنبه .

(١) صحيح البخاري ك فضائل القرآن ب ـ القراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم ٥٠٠٤

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٤٢/١ ط دار المعرفة بيروت .

أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا] [1] على أن المراد بالأمية الموصوف بها العرب عدم معرفة الكتابة ــ حسبما هو منطوق الحديث ــ لأن معناه كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : إن الدين من حيث هو ، غير مفتقر إلى كتابة أصلا، لأن كتاب الله عز وجل قد سهل الله ويسر حفظه على الناس ، والسنن ــ أيضا ــ محفوظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلا فالله عز وجل قد أمرنا بالكتابة كما في آية الدين ، وبهذا فلا تعارض بين الحديث وبين الأمر بالكتابة . اهـ بتصرف يسير [2]

وبنحو ذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى [3] ثم قال في موضع آخر : إن المراد أنا لا نحتاج في أمر الهلال إلى كتاب ولا حساب ، إذ هو تارة ثلاثون يوما ، وتارة تسعة وعشرون يوما ، والفارق بينهما هو الرؤية فقط ، ليس بينهما فرق آخر من كتاب ولا حساب . [4]

قلت : وكيف يكون غير هذا ، والأمة التي بعث الله إليها محمدا صلى الله عليه وسلم فيهم ــ على ما يقول ابن تيمية رحمه الله ــ من يقرأ ويكتب كثيرا كما كان في أصحابه صلى الله عليه وسلم ، وفيهم من يحسب ، وقد بعث صلى الله عليه وسلم بالفرائض التي فيها من الحساب ما فيها ، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم عامله على الصدقة ابن اللتبية حاسبه.

وكان له صلى الله عليه وسلم عدة كتاب ــ كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزيد ومعاوية رضي الله عنهم يكتبون الوحي ويكتبون العهود ، **ويكتبون** كتبه إلى الناس ، إلى من بعثه

(١) حديث صحيح سبق تخريجه .
(٢) تفسير ابن كثير ٣٤٢/١
(٣) تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية مصدر سابق ص ٢٢٠
(٤) مجموعة فتاوي ابن تيمية ٥ / ١٧٣ ـ ١٧٤ ط أولى .

الله إليهم من ملوك الأرض ، ورؤوس الطوائف، وإلى عماله ، وولاته وغير ذلك .

وقد قال الله تعالى : { لتعلموا عدد السنين والحساب } في آيتين من كتابه [1] فأخبر أنه فعل ذلك ليعلم الحساب . اهـ [2]

أما وقد تبين لك هذا فاعلم ــ رعاك الله ــ أنه وباستصحابنا لما جاء في المسألة الثانية من هذا الفصل من أنه كان في العرب من يقرأ ويكتب كما أنه كان فيهم من ليس كذلك شأن الناس في كل زمان ومكان .

وباستصحابنا ــ كذلك ــ لصور الأمية كما في الباب الأول ، وللمعاني والأوجه التي جاء عليها لفظ [الأمية] في القرآن . أن أولى الأقوال بالصواب فيما أرى ــ والله أعلم ــ أن المقصود بالأميين هنا القوم الذين ليس لهم كتاب سماوي ــ أي العرب الذين هم في مقابل أهل الكتاب ــ بغض النظر عن كونهم يكتبون ويقرأون ، أم لا .

يقول الدكتور: محمد سعيد رمضان البوطي : إن من تتمة الحكمة الإلهية أن تكون البيئة التي بعث فيها عليه الصلاة والسلام ــ أيضا ــ بيئة أمية بالنسبة للأمم الأخرى التي من حولها ، أي لم يتطرق إليها شئ من الحضارات المجاورة لها ، ولم تتعقد مناهجها الفكرية بشئ من تلك الفلسفات التائهة من حولها ... إلى أن قال : لأنه إذا ظهرت الدعوة الإسلامية بين أمة لها شأن في الحضارة والمدينة والفلسفة كدولة الفرس واليونان أو الرومان ربما ارتاب مرتاب مبطل يزعم أنها سلسلة التجارب الحضارية والأفكار والفلسفات أبدعت أخيرا هذه الحضارة الفذة والتشريع المتكامل.اهـ [3]

(١) يقصد آية ١٢ من سورة الاسراء ، وآية ٥ من سورة يونس .
(٢) مجموع الفتاوي ٢٥ / ١٦٦ ـ ١٦٧
(٣) فقه السيرة النبوية ص ٢٢ ـ ٢٣ ط ١١ دار الفكر المعاصر بيروت .

قلت : وهذا لا يعني أنه لم يكن عندهم من العلم شئ ، بل كان لهم من العلم ما ينال بالفطرة التي لا يخرج بها الإنسان عن الأمية العامة كالعلم بالصانع سبحانه ، وتعظيم مكارم الأخلاق ، وعلم الأنواء والأنساب ، والشعر أفاده ابن تيمية رحمه الله .(١)

وانظر نحو ذلك ولكن بتفصيل أكثر فيما ذكر في تاريخ الأدب العربي .(٢)

واعلم أنه لا يلزم من كونهم أميين أنهم لم يكونوا على قدر من الثقافة اللغوية ، والحق أنهم كانوا على قدر كبير منها ، تشهد بهذا الآثار الأدبية التي رويت عن العصر الجاهلي ، ويشهد بذلك ــ أيضا ــ نزول القرآن بلسانهم . وهذا يعني أنهم كانوا في قمة الفصاحة والبلاغة والبيان . حتى قيل عنهم ، إنهم كانوا عباد بيان قبل أن يكونوا عبدة أوثان .

* * *

(١) مجموعة الفتاوى ٢٥ / ١٦٨

(٢) لمؤلفه الدكتور أحمد حسن الزيات ص ١٢ ط ٤ دار المعرفة بيروت .

الفصل الثالث
النبي محمد صلى الله عليه وسلم والأمية

وفيه مسائل :

المسألة الأولى : الأدلة على أميته صلى الله عليه وسلم .

ذكر الله عز وجل في القرآن أدلة صريحة على أميته صلى الله عليه وسلم وذلك في قوله تعالى { الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ... } الأعراف ١٥٧

وقوله تعالى { فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي ... } الأعراف ١٥٨

وقوله تعالى : { وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون } العنكبوت ٤٨

تفريع على هذه المسألة : ــ

ذكر البعض ــ وبدافع الغيرة منهم على الرسول صلى الله عليه وسلم ــ أن البرهان على أميته صلى الله عليه وسلم ، وعلى أنه لم يكن يكتب ويقرأ إنما يلتمس من آية العنكبوت السالفة الذكر ، لا من الآيات التي صرح فيها بلفظ ، الأمي ،

وممن قال بذلك الدكتور: إبراهيم أنيس .

والسبب الذي حدا به إلى ذلك هو ما صرح به في قوله : تذكر المعاجم القديمة لكلمة الأمي معنيين ، احدهما هو المألوف المشهور الشائع بيننا (١) والآخر معنى غريب غير مستساغ ، هو على حد تعبيرهم (العيي الجافي الجلف القليل الكلام)(٢) ولست أدري كيف استباح أصحاب المعاجم لأنفسهم أن ينسبوا مثل هذا المعنى لكلمة (الأمي) بعد أن وصف بها النبي صلى

(١) يقصد عدم القراءة والكتابة .

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة أمم ، والمعجم الوسيط مادة أم

الله عليه وسلم في القرآن الكريم ؟ وكيف يتصور أن يكون للكلمة مثل هذه الدلالة في أذهان العرب ثم مع هذا تتخذ وصفا لنبيهم صلى الله عليه وسلم ؟ ...

ثم قال ما ملخصه : إن وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالأمي إنما جاء لإفادة أنه ليس من أهل الكتاب خلافا لما جرت به السوابق من اختصاصهم بالكتب المقدسة والأنبياء والرسل.

ثم قال : وباستعراض الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ [الأميين] نجد أنه ليس من بينها ما يشتم منه لأول وهلة أن المراد بالأميين الذين يجهلون القراءة والكتابة ... اهـ [1]

قلت :

أولا : نحمد له هذه الغيرة ونسأل الله أن يثيبه عليها خيرا.

ثانيا : أما قوله : إن كون النبي صلى الله عليه وسلم لا يقرأ ولا يكتب إنما يلتمس من آية العنكبوت لا من الآيات المصرحة بلفظ [الأمي] فإنه خلاف الحق وذلك للآتي :

١ـ لفظ (الأمي) صريح ومشهور وشائع في إطلاقه على عدم القدرة على القراءة من مكتوب ، وعدم الكتابة ، حسبما أفاد هو نفسه فيما سبق النقل عنه ، وحسبما هو أحد معاني الأمية .

وهذا المعنى : هو أول ما يتبادر إلى الذهن ، والتبادر من أمارات الحقيقة لذا لا يصار عن المعنى الصريح الشائع إلى غيره ولا سيما مع عدم وجود داع لذلك .

أما آية العنكبوت فإنها مبينة وشارحة لوصف (الأمي) الوارد في آيتي الأعراف.

ألم تر أنها تفيد أنه لا يتلو من كتاب ، ولا يخطه بيمينه وهذا عين التعريف الشائع للأمي.

(١) دلالات الألفاظ للدكتور/ ابراهيم أنيس ص ١٨٧ ـ ١٨٩ ط ٧ مكتبة الأنجلو المصرية

وهو ما يمكن استفادته من ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم [إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ....] [1]

٢ـ إن ما جاء في بعض المعاجم من أن من معاني (الأمي) : العيي الجافي الجلف " لا ينبغي أن نترك من أجله المعنى الصريح الشائع بل الأولى حينئذ أن نبحث عن مخرج آخر غير هذا ، فلو أننا رددنا هذا المعنى ـ مثلا ـ ما جاوزنا الحقيقة ، لا سيما وأنه ليس قرآنا ولا سنة ، ولا له من القداسة ما نفعل من أجله ذلك .

٣ـ وعلى فرض صحة مثل هذا المعنى لكلمة (الأمي) التي هي من قبيل ما له أكثر من معنى ، فإنه لا يلزم سحب كل هذه المعاني على كل متصف بها، بل لكل ما يخصه ، فقد يكون هناك (أمي) لمعني العيي الجافي ، وقد يكون هناك (أمي) بمعنى آخر وهكذا كما هو الشأن في الألفاظ المشتركة.

فلا حساسية عندنا من هذا ، فالرسول صلى الله عليه وسلم ـ وحاشاه أن يوصف بهذا المعنى ـ بل فضله أكبر من أن يوصف وقد دل عليه القرآن ، والسنة وسيرته صلى الله عليه وسلم .

. . .

المسألة الثانية : معنى أميته صلى الله عليه وسلم ، والفهم الخاطئ من البعض لها : ـ

أولا : أمية النبي صلى الله عليه وسلم معناها : عدم القراءة من مكتوب وعدم الكتابة ـ أيضا ، وهذا كان حاله صلى الله عليه وسلم حتى وفاته .

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان لمحمد فؤاد عبد الباقي ك الصوم . ب ١ فضل شهر رمضان حديث ٦٥٥ ج ٢ ص ١٥٧ ط دار الثريا الرياض .

ثانيا : الفهم الخاطئ من البعض لأميته صلى الله عليه وسلم .

يظن بعض الناس أن كون الرسول صلى الله عليه وسلم أميا يعني أنه لم يكن عالما ، وأن الأمية في نظرهم مذمومة فكيف يوصف بها الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ .

قلت : إن الأمية في حق النبي صلى الله عليه وسلم وصف مدح لا وصف ذم فهي دليل معجزته وصدق نبوته .

نقل القرطبي عن الماوردي : فإن قيل ما وجه الامتنان بأن بعث نبيا أميا فالجواب عنه من ثلاثة أوجه :

أحدها : لموافقته ما تقدمت به بشارة الأنبياء [١]

ثانيها : لمشاكلة حاله لأحوالهم (يعني العرب) فيكون أقرب إلى موافقتهم .

ثالثها : لينفي عنه سوء الظن في تعليمه ما دعا إليه من الكتب التي قرأها والحكم التي تلاها . اهـ [٢]

قلت : يعني ما أشار إليه قوله تعالى : { وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون } العنكبوت ٤٨

وقال السيد رشيد رضا : وأميته صلى الله عليه وسلم من أعظم معجزاته ، وآية آية على صحة دعوى الرسالة أقوى وأظهر من تعليم الأمي الذي لم يتعلم شيئا لجميع الأمم ما فيه [٣]

(١) كما قال تعالى : { الذين يتبعون الرسول الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ... } الأعراف ١٥٧

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨٢/١٨ ، ط أولى ، دار الكتاب العربي بيروت .

(٣) تفسير المنار ٣٠٢/٩

وقال ابن خلدون : إن الأمية كانت كمالا في حق النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنها ليست كمالا في حقنا نحن .[١]

وقال العلامة ابن عاشور : وفي وصف الرسول صلى الله عليه وسلم : بأنه أمي : يتلو على الأميين آيات الله ، أي وحيه ، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب ويعلمهم الحكمة ، تحد بمعجزة الأمية في هذا الرسول صلى الله عليه وسلم أي هو مع كونه أميا قد أتى أمته بجميع الفوائد التي أتى بها الرسل غير الأميين أممهم ، ولم ينقص عنهم شيئا ، فتمحضت الأمية للكون معجزة حصل من صاحبها أفضل مما حصل من الرسل الكاتبين مثل موسى عليه السلام .اهـ[٢]

وعلى ذلك فأمية الرسول صلى الله عليه وسلم لا تعنى أنه لم يكن أعلم الناس كيف وقد امتن الله تعالى عليه بالعلم فقال : { وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما } النساء ١١٣

فالله عز وجل أعطاه العلم كله وهو صلى الله عليه وسلم يقسمه بين أصحابه، في الحديث الصحيح ، عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله عز وجل يعطي ... الحديث] [٣] اهـ بتصرف .[٤]

. . .

(١) مقدمة ابن خلدون ٧٤٩/٢ دار الكتاب اللبناني

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠ /

(٣) صحيح البخاري ك العلم ، باب ١٣ من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين حديث ٧١

(٤) المدخل إلى الثقافة الإسلامية للدكتور/ محمد رشاد سالم ص ٩٧ ط ٩ دار القلم بيروت .

المسألة الثالثة : في كونه صلى الله عليه وسلم قرأ وكتب في آخر عمره أم لا

الناس في هذا الأمر فريقان ، فريق يثبت ، وفريق ينفي ، وفيما يأتي عرض لأقوال كل فريق وأدلته .

أولا : القائلون بأنه صلى الله عليه وسلم قرأ وكتب بعد النبوة وأدلتهم

ذهب إلى ذلك جمع من العلماء منهم : الشعبي ، وهو تابعي ، وأبو ذر عبد بن أحمد الهروي ، وأبو الفتح النيسابوري ، وأبو الوليد الباجي ، من المغاربة وحكاه عن السمناني ، وصنف فيه كتابا ، وسبقه إليه ابن منبه . (١)

ومن أدلتهم على ذلك :

١ــ أن وصفه صلى الله عليه وسلم بالأمي وأنه لا يقرأ ولا يكتب إنما كان أول الأمر ولحكمة عظيمة : هي إقامة الدليل على صدقه صلى الله عليه وسلم، وصدق نبوته ورسالته حتى لا يرتاب المبطلون ، فلما اشتهر الإسلام تعلم صلى الله عليه وسلم القراءة والكتابة ، وهذا لا ينافي معجزة الأمية ، بل ذلك معجزة أخرى لكونها من غير تعلم .

٢ــ قوله تعالى : { رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة .. } البينة ٢ ــ ٣

٣ــ قوله تعالى : { اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم .. } العلق ١ ــ ٤ وهذا يدل على أن القراءة تكون من مكتوب .

(١) روح المعاني للألوسي ٤/٢١ ـ ٥ ، وانظر تفسير القرطبي ١٣ / ٣١٣ فما بعدها ، وتفسير ابن كثير ٤٢٧/٣ وفتح الباري لابن حجر ٥٠٣/٧ ط دار المعرفة بيروت .

٤ــ ما جاء في أنه عليه السلام كتب يوم الحديبية .

فقد أخرج مسلم في صحيحه عن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي ــ أي يوم صلح الحديبية ــ [اكتب الشرط بيننا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله " فقال المشركون : لو نعلم أنك رسول الله تابعناك ــ وفي رواية ــ بايعناك . ولكن اكتب محمد بن عبد الله فأمر عليا أن يمحوها فقال علي : والله لا أمحاه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [أرني مكانها] ، فأراه فمحاها وكتب " ابن عبد الله "(١) وفي رواية عند البخاري : وليس يحسن يكتب فكتب " (٢)

قال القرطبي : قال علماؤنا رضي الله عنهم : وظاهر هذا أنه عليه الصلاة والسلام محا تلك الكلمة التي هي [رسول الله] صلى الله عليه وسلم بيده وكتب مكانها [ابن عبد الله] .(٣)

وقال القاضي عياض : احتج بهذا اللفظ بعض الناس على أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب ذلك بيده على ظاهر اللفظ (٤)

٥ــ ذكر القاضي عياض عن معاوية رضي الله عنه أنه كان يكتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له [ألق الدواة وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم } (٥)

٦ــ احتج هؤلاء ــ أيضا ــ بما روى من [أن النبي صلى الله عليه وسلم " ما مات حتى قرأ وكتب } وهذا دليل صريح عندهم .

(١) صحيح مسلم ، ك الجهاد والسير ب ٣٤ ، صلح الحديبية حديث رقم عام ١٧٨٣ ورقم خاص ٩٢
(٢) صحيح البخاري ك المغازي ب عمرة القضاء حديث رقم ٤٢٥١
(٣) تفسير القرطبي ٣١٣/١٣ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١١٦/٢ ط ١ دار الكتاب العربي بيروت .
(٥) تفسير القرطبي ٣١٤/١٣ وانظر فتح الباري لابن حجر ٥٠٤/٧ دار المعرفة بيروت .

٧ــ ومن أدلتهم : ما رواه ابن ماجه عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (رأيت ليلة أسرى بي مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها ، والقرض بثمانية عشر) .[1]

وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قرأ المكتوب على باب الجنة ، وهذا دليل على تعلمه القراءة والكتابة .

٨ــ ومن أدلتهم ــ أيضا ــ أن النبي صلى الله عليه وسلم تهجي حين ذكر الدجال فقال صلى الله عليه وسلم [مكتوب بين عينيه ك ا ف ر][2] لكن التي في مسلم بدون ألف هكذا [ك ف ر] .

نفى ذكره لكلمة [كافر] هكذا [ك ا ف ر] مقطعة دليل على أنه يقرأ لأن هذا نطق بأسماء الحروف والأمي ينطق بالمسميات فقط فيقول [كافر} لكن لا يمكن أن يتهجاها إلا من يقرأ .

. . .

ثانيا : القائلون ببقائه على أميته صلى الله عليه وسلم حتى وفاته وأدلتهم

الجمهور على أنه صلى الله عليه وسلم لم يتعلم القراءة والكتابة أصلا وأدلتهم على ذلك الآيات السالفة الذكر والموصوف فيها صلى الله عليه وسلم بكونه " أميا " وهي ظاهرة الدلالة .

وكذلك آية العنكبوت التي فيها التصريح بأنه صلى الله عليه وسلم لم يتعلم القراءة ولا الكتابة .

والآيات الثلاث سبق ذكرها مرارا .

(١) سنن ابن ماجه ، ك الصدقات ب ١٩ القرض حديث رقم ٢٤٣١
(٢) صحيح مسلم ، ك الفتن ب ذكر الدجال حديث رقم ١٠١ (٢٩٣٣)

ومن أدلتهم ــ أيضا ــ قول الرسول صلى الله عليه وسلم ــ كما في الحديث الصحيح [إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ...][1]

ثالثا : مناقشة أدلة كل فريق :

١ــ مناقشة أدلة الفريق الأول :

لقد اشتد نكير فقهاء المشرق والمغرب على هذا الفريق وتبرأوا منهم، أفاده غير واحد من العلماء[2]

أما عن دليلهم الأول والذي فيه أن تعلمه القراءة والكتابة فيما بعد لا يناقض معجزة الأمية ، بل هو معجزة أخرى ، فإنه لا يرقى دليلا لهم ، وذلك للآتي : ــ

أولا : كان ذلك يكون آية ــ كما نقل القرطبي عن بعض المتأخرين ــ لولا أنها مناقضة لآية أخرى وهي كونه أميا ، وبكونه كذلك قامت الحجة وأفحم الجاحدون وانحسمت الشبهة ، فكيف يطلق الله يده فيكتب وتكون آية ، وإنما الآية ألا يكتب ، والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضا .. اهـ[3]

ثانيا : قلت : لو حدث ذلك لبقيت الشبهة ولكانت أكبر من ذي قبل ، ولقال القوم عنه ــ وحاشاه ــ لقد خدعنا محمد عندما أظهر أول أمره أنه لا يقرأ ولا يكتب، ثم إذا به يقرأ ويكتب .

ثالثا : إن تنزل القرآن الكريم عليه ظل إلى قبيل وفاته صلى الله عليه وسلم بأيام قلائل وهذا كان يستلزم أن يبقى على أميته صلى الله عليه وسلم لأن

(١) أخرجه البخاري ، ك الصوم ، ب ١٣ حديث رقم ١٩١٣ ، واخرجه مسلم ، كتاب الصيام ب ٢ رقم ١٥ وسنن أبي داود ك الصيام ب ٤ حديث رقم ٢٣١٩
(٢) تفسير القرطبي ٣١٤/١٣ ، وانظر تفسير ابن كثير ٤٢٧/٣ ، وانظر فتح الباري لابن حجر ٥٠٣/٧
(٣) تفسير القرطبي ٣١٤/١٣

الحكمة في مجيئه بهذا القرآن العظيم مع كونه أميا هي هي من قبل ومن بعد قال تعالى : { وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون } العنكبوت ٤٨

وإذا كان القوم مع علمهم بأنه أمي قالوا كما ذكر القرآن : { وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا } الفرقان ٥

فماذا عساهم قائلين لو تبين لهم أنه يقرأ ويكتب.

لذا رد الله عليهم بقوله : { قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما } الفرقان ٦

رابعا : أفادت آيتا سورة الأعراف أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم ، موصوف في الكتب السابقة بأنه أمي ، فهل يقول أحد بأنه موصوف بذلك باعتبار أول أمره لا باعتبار أمره كله !!!

خامسا : أما ما عساهم أن يكونوا قد فهموه من لفظه (من قبله) في آية {وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون } العنكبوت ٤٨ وأن الضمير فيه راجع إلى ما قبل نزول القرآن ، وفي ذلك دليل على أنه صلى الله عليه وسلم كان قادرا على التلاوة والخط بعد إنزال الكتاب، ولولا هذا الاعتبار لكان الكلام خلوا عن الفائدة .

فقد ذكر الحافظ ابن حجر أن الباجي قال للأمير الذي جمع بينه وبين خصومه في هذه المسألة : هذا لا ينافي القرآن بل يؤخذ من مفهومه لأنه قيد النفي بما قبل ورود القرآن ... الخ[1]

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٧/ ٥٠٣ دار المعرفة بيروت .

قال الألوسي : ولا يسلم لهم ذلك إلا إذا قيل بحجية المفهوم .[1]

قلت : وحجية المفهوم مختلف فيها فبعضهم ينفيها بالكلية، وبعضهم يثبتها ومن أثبتها لا يعني كون دلالتها قطعية بل هي ظنية [2] والأدلة الظنية لا تقوم بها حجة في مثل هذه الأمور التي تعارض بالصريح من النصوص القطعية .

. . .

وأما دليلهم الثاني : وهو قوله تعالى : { رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة } البينة ٢ ــ ٣

فلا تقوم لهم به حجة ــ أيضا ــ لأن تلاوة المكتوب كما في قوله {يتلو صحفا } ليس معناه أخذه من الكتابة بالمطالعة ، بل الأخذ بالسماع والتلقين لشئ هو مدون ومسجل في كتاب مرقوم كما قال تعالى : { كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة} عبس ١١ ــ ١٦

قال العلامة ابن عاشور : وتعدية الفعل (يتلو) في الآية إلى [صحفا] مجاز مرسل مشهور ساوي الحقيقة كما قال تعالى {وما كنت تتلو من قبله من كتاب ... } العنكبوت ٤٨ وهو باعتبار كون المتلو كتابا ، وإنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو عليهم القرآن عن ظهر قلب ولا يقرأه من صحف فمعنى [يتلو صحفا] يتلو ما هو مكتوب في صحف والقرينة ظاهرة هي اشتهار كونه صلى الله عليه وسلم أميا .[3]

وأما دليلهم الثالث الذي هو آيات " سورة اقرأ " فالجواب عليه بمثل ما جاء في جواب الدليل السابق ،

---

(١) روح المعاني للألوسي ٥/٢١

(٢) راجع في ذلك كتب الأصول .

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٤٧٧/٣٠

وبما قاله الشيخ الشنقيطي في تفسيره : ولا تعارض بين كون النبي صلى الله عليه وسلم أميا وبين كونه مأمورا بالقراءة لأن كون القراءة تكون من مكتوب وتكون من متلو ، وهنا من متلو يتلوه عليه جبريل عليه السلام وهذا إبراز للمعجزة أكثر لأن الأمي بالأمس صار اليوم معلما . اهـ (١)

ولا يشكلن علينا في هذا المقام ما أخرجه ابن اسحاق مرسلا من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [أتاني جبريل بنمط من ديباج فقال اقرأ ... الخ] (٢)

لأنا نقول ــ كما ذكر الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله تعالى في كتابه المختار من كنوز السنة ــ إن كان هذا الكتاب المرقوم إنما أتى به جبريل ليستملي منه ويلقن النبي صلى الله عليه وسلم ما فيه فواضح ، وإن كان ليطالعه النبي صلى الله عليه وسلم ويقرأ نقوشه فللبحث فيه مجال ، لأن تكليفه بقراءة الكتاب من الصحيفة وهو لا يقرأ أو لا يكتب من قبيل تكليف ما لا يطاق .

ثم قال : فإن ادع مدع أن الله علمه حين ذاك قراءة النقوش مستندا إلى ظاهر قوله تعالى : { علم بالقلم } لزم عليه أنه انتقل بهذا التعليم من الأمية التي هي من دعائم الإعجاز ولا يخفى بطلانه إلا أن يقال إنه علمه قراءة تلك الصحيفة المكتوبة بقلم القدرة ، ولا يلزم من ذلك تعلم قراءة الصحيفة المكتوبة بأقلام الناس لكن هذا وإن دفع الإشكال بعيد غاية البعد لأن وقوع هذا الحادث في باكورة الوحي القرآني والامتنان عليه بأنه سينتقل بذلك إلى عهد جديد من العلم اللدني ، كل ذلك يلوح منه أن الذي وقع له إذ ذاك نموذج لما بعده . فإذا كان تعلمه الآن على منهاج إقرائه من الصحيفة فالظاهر أنه لا يفتح عليه هذا الباب لمسألة واحدة من العلم ثم يغلق دونه ، بل ينبغي أن يكون سائر أمره عند الوحي القرآني كذلك ، وهذا يحتاج إلى توقيف ونقل صحيح .

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ٣٤٥/٩ ، عالم الكتب بيروت .
(٢) قال أخونا الدكتور/ عبد الفتاح عبد الغني في كتابه مواهب الرحمن في علوم القرآن ص ٤٤ : قال : لم أقف عليه في كتب السنن والآثار ولا في كتب التفسير بالمأثور .

فالذي نذهب إليه في هذه الرواية : أنها نظير قوله تعالى : {رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة } ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يوما يتلو القرآن في صحيفة ... اهـ (١)

قلت : كل هذا على اعتبار قبول رواية ابن اسحاق ، وإلا فهي مرسلة كما سبق أن عرفت ، والمرسل من أنواع الضعيف . (٢)

هذا فضلا عن أنها لم ترد لا في كتب السنن ولا في كتب الآثار ، ولا حتى في كتب التفسير بالمأثور . (٣)

فكيف ــ والحال هذه ــ يعول عليها ، وتتخذ دليلا على تعلمه صلى الله عليه وسلم القراءة والكتابة بعد النبوة ؟

وبالجملة : فما ورد من استدلالهم بآيات (البينة) ، وآيات سورة العلق، بل ما جاء حتى في الرواية ، مما سبق ذكره آنفا ، لا تقوم لهم به حجة .

كيف والمشهور الدال عليه النصوص الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان عندما يقرأ عليه جبريل القرآن يخشى أن يتفلت منه فيردد وراءه القراءة فنهاه الله عن ذلك وأمره بالاستماع فقط ، وأن الله تعالى سيجمع له ذلك في قلبه ويجعله يتلوه ولا ينساه .

(١) انظر ذلك : في مواهب الرحمن في علوم القرآن لأخي الدكتور/ عبد الفتاح عبد الغني ص ٤٥ ، ط أولى .
(٢) انظر كتب مصطلح الحديث .
(٣) سبقت الإشارة إلى ذلك .

قال تعالى : { لا تحرك به لسانك لتعجل به إنا علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه } القيامة ١٦ ــ ١٩

وقال تعالى : { سنقرئك فلا تنسى } الأعلى ٦

وقال تعالى : { ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليه وحيه } طه ١١٤

أما دليلهم الرابع : والذي فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد كتب يوم الحديبية .

فمعناه كما قال العلماء : [١] أمر بالكتابة كما يقال : رجم ماعزا ، وقطع السارق وجلد الشارب أي أمر بهذا ، وهو كذلك من قبيل : بني الأمير المدينة.

ودليل ذلك الرواية الأخرى ، [٢] والتي فيها فقال لعلي رضي الله عنه [اكتب محمد بن عبد الله]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : قال السهيلي : والحق أن معنى (فكتب) أي أمر عليا أن يكتب ،

ثم قال ابن حجر : وأجاب الجمهور عن قصة الحديبية بأن القصة واحدة والكاتب فيها على ، وقد صرح في حديث المسور بأن عليا هو الذي كتب فيحمل على أن النكتة في قوله : فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب " لبيان أن قوله : " أرني مكانها " أنه ما احتاج إلى أن يريه مكان الكلمة التي امتنع على من محوها إلا لكونه كان لا يحسن الكتابة ، وعلى أن قوله بعد ذلك (فكتب)

(١) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ١١٦/٢ ـ ١١٧ ، وانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ٥١٨/١ ، ط أولى مكتبة المعارف بالرياض ، وانظر : تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ٤٢٨/٣ ط ٩ دار المعرفة بيروت .

(٢) صحيح مسلم ك الجهاد حديث ٩٣ (١٧٨٤) وصحيح البخاري ك الشروط ب ١٥ حديث ٢٧٣٢

فيه حذف تقديره فمحاها فأعادها لعلي فكتب ، وبهذا جزم ابن التين وأطلق كتب بمعنى أمر بالكتابة وهو كثير ، كقوله كتب إلى قيصر وكتب إلى كسرى ، وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم من كتابة اسمه صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة أن يخرج عن كونه أميا ، فإن كثيرا ممن لا يحسن الكتابة يعرف تصور بعض الكلمات ويحسن وضعها بيده وخصوصا الأسماء ، ولا يخرج بذلك عن كونه أميا . اهـ [١]

أما عن دليلهم الخامس : والذي فيه تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه كيف يكتب . فقد قال ، الشيخ عبد الرزاق المهدي محقق تفسير القرطبي إنه حديث موضوع [٢]

وقال ابن حجر : حكم الجمهور بضعف مثل هذا الحديث . [٣]

وأما عن دليلهم السادس : والذي فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم " ما مات حتى قرأ وكتب "

فقد قال عنه الحافظ ابن كثير : ضعيف لا أصل له . [٤]

وكذلك نقل القرطبي الحكم عليه عن ابن عطية [٥] وقال الألباني : حكم العلماء بوضع هذا الحديث ، ثم قال : وهذا حديث منكر لمعارضته كتاب الله عز وجل. [٦]

وقال الهيثمي في مجمعه : رواه الطبراني ، وقال : هذا حديث منكر ، وأبو عقيل ضعيف وهذا معارض لكتاب الله تعالى.

(١) فتح الباري لابن حجر ٥٠٤/٧

(٢) تفسير القرطبي ١٣ هامش ص ٣١٤

(٣) فتح الباري ٥٠٤/٧

(٤) تفسير ابن كثير ٤٢٧/٣ ـ ٤٢٨

(٥) تفسير القرطبي ٣١٣/١٣

(٦) سلسلة الأحاديث الضعيفة ٥١٨/١

ثم قال : وإن معناه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتوف حتى قرأ عبد الله بن عتبة وكتب ، يعني أنه كان يعقل في زمانه صلى الله عليه وسلم.

وسند الرواية كما ذكر الهيثمي هو : عن عون بن عبد الله عن عتبة عن أبيه قال وذكر الرواية .(١)

فأنت ترى أنه وعلى فرض قبوله ــ وإلا فهو منكر ــ فالمقصود منه خلاف ما فهموه منه فالضمير في قرأ وكتب عائد على عبد الله بن عتبة لا على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبالتالي فلا ينهض لهم حجة ــ أيضا.

. . .

أما الدليل السابع : والذي فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قرأ المكتوب على باب الجنة ليلة أسري به .

فأقول : وهذا ــ أيضا ــ لا متمسك لهم فيه ، لأن ما نحن بصدده من الأمور الدنيوية ، وما احتجوا به من الأمور الأخروية ، فلا يقاس الشاهد على الغائب لأن الجهة منفكة ، ولكل حياة قوانينها وخصائصها أليس الناس جميعا سيقرون صحائف أعمالهم في الآخرة القارئ منهم وغير القارئ في الدنيا ؟ بلى إنهم سيقرؤن .

قال تعالى : { اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا } الإسراء ١٤

هذا فضلا عما طرأ من تغيير على كثافته المادية لتلائم ماديته في تلك الرحلة فلا يبعد إذا وقد انخلع من بشريته أن يقرأ ما هو مكتوب فالأمر هنا مختلف تماما عن الأمور الدنيوية .

. . .

وكذلك دليلهم الثامن ، والذي فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن الدجال مكتوب بين عينيه كافر وتهجي ذلك هكذا ك أ ف ر

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ، ك ذكر الأنبياء ٢٧٤/٨ ، ط : مؤسسة المعارف بيروت .

لا حجة فيه ــ أيضا ، لأنه ورد في حديث آخر عند مسلم [يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب } (١)

قال القرطبي : فقد نص في ذلك على غير الكتاب ممن يكون أميا ، وهذا من أوضح ما يكون جليا (٢)

وكذلك يظهر من الرواية أن الوحي أعلمه ذلك لا أنه صلى الله عليه وسلم رآه فقرأ المكتوب بين عينيه.

أما عن كونه صلى الله عليه وسلم تهجى ذلك تهجيا فلا غرابة فيه ، ألم تبدأ تسع وعشرون سورة في القرآن الكريم بالحروف المقطعة وقرأها الرسول صلى الله عليه وسلم وأقرأها أصحابه تهجيا ؟

وهل قال أحد : إن تهجيه لها دليل على أنه قرأ وكتب ؟ اللهم لا .

بل في ذلك دليل على صدقه صلى الله عليه وسلم وعلى أن القرآن من عند الله تعالى وبيان ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ومعلوم أن تلفظ الأمي الذي لم يمارس القراءة ولا الكتابة ولم يحم حول ذلك قط بأسماء الحروف أمر مستبعد استبعاد الخط والتلاوة.

أما التلفظ بالحروف أنفسها ــ أعني مسمياتها ــ فيستوي فيه الأمي وغير الأمي .

(١) صحيح مسلم ك الفتن ـ ب ٢٠ ذكر الدجال حديث ١٠٥ (٢٩٣٤)
(٢) تفسير القرطبي ٣١٥/١٣

فمثلا لفظ [كافر] الوارد في الحديث يستوي في النطق به المتعلم والأمي ولكن إذا طلب من كل منهما أن يتلفظ بأسماء الحروف المكون منها هذا اللفظ على نمط التهجي فيقول : كاف ـ ألف ـ فاء ـ راء ـ فإنه لا يقدر على ذلك إلا المتعلم .

فكون النبي صلى الله عليه وسلم ، نطق بأسامي الحروف مع اشتهاره بأنه لم يكن ممن يقرؤن ويكتبون دل على أن ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته . اهـ بتصرف [1]

وبعد فتلك هي أدلتهم ، فهل ترى منها دليلا ينهض حجة لهم ؟ اللهم لا.

. . .

٢ـ مناقشة أدلة الفريق الثاني : ـ

قلت : ما يمكن أن تعارض به أدلة الفريق الثاني ـ وخاصة القرآنية منها ـ من روايات وأقوال ، أو ما يمكن أن تؤل به من تأويلات كله سبقت الإشارة إليه عند مناقشة أقوال الفريق الأول .

وعرفنا آنذاك أنه لا يوجد نص قطعي الدلالة مؤهل لمعارضتها كما أنه لا يوجد تأويل سائغ لها .

أما استدلال هذا الفريق بحديث [إنا أمة أمية ...] فقد قال الألوسي في تفسيره : ولا يخفى أن قوله عليه الصلاة والسلام [إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب] ليس نصا في استمرارية نفي الكتابة عنه عليه الصلاة والسلام ، ولعل ذلك باعتبار أنه بعث عليه الصلاة والسلام وأكثر من بعث إليهم وهو

(١) انظر بحثنا " الحروف المقطعة في أوائل بعض السور القرآنية) ضمن حولية كلية أصول الدين بالقاهرة لعام ١٩٩٨ م ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥ ط أولى .
وانظر نحو هذا في : الكشاف للزمخشري ٢٣/١ ، وتفسير أبي السعود ١٧/١ ، وتفسير النسفي ٩/١

بين ظهرانيهم من العرب أميون لا يكتبون ولا يحسبون فلا يضر عدم بقاء وصف الأمية في الأكثر بعد . اهـ [1]

قلت : ما ذكره العلامة الألوسي رحمه الله تعالى في معرض تعليقه على الحديث إنما يصلح في شأن الأمة التي بعث فيها النبي صلى الله عليه وسلم على اعتبار أنها مكونة من جمع من الناس ، فلا يضر عدم بقاء وصف الأمية في الأكثر بعد ـ كما قال .

لكن هذا لا ينطبق على النبي صلى الله عليه وسلم لأنه ـ وحاشاه ـ عليه أفضل الصلاة والسلام لا يليق أن نقول إن بعضه بقي على أميته ، وبعض الآخر انخلع عنها ، ولا يضر عدم بقاء وصف الأمية في بعضه بالبعض الآخر !!!

لذا كان منطوق الحديث [إنا ...] بالجمع ، والرسول صلى الله عليه وسلم بالطبع داخل ضمن هذا الجمع ، فإن قلنا إن الأكثرية من هذه الأمة قرأ وكتب حتى في حياته صلى الله عليه وسلم .

فما المانع أن يكون هو عليه الصلاة والسلام ضمن الأقلية التي لم تقرأ ولم تكتب ؟ ويرشح ذلك ، النصوص الصريحة في هذا المقام ، والله أعلم.

تنبيه :

إن ما قلته في الجواب على رد العلامة الألوسي على حديث [إنا أمة أمية ...] لا يعني أني أدعو بذلك إلى بقاء الأمة على أميتها ـ حاشا لله ـ كيف يكون ذلك ، وقرآننا يدفعنا دفعا وبكل الأساليب إلى التعلم والتثقف ـ حسبما سيأتيك إن شاء الله تعالى عند الحديث عن موقف القرآن من الأمية ؟

(١) تفسير الألوسي ٥/٢١

أما في حق الرسول صلى الله عليه وسلم فالأمر مختلف وقد سبقت الإشارة إلى ذلك كثيرا ، لأن الله أراد أن تكون أميته معجزة ، والمعجزة لا يمكن تجزؤها بأن يكون أميا فيصير بعد ذلك قارئا كاتبا .

٣ـ تعقيب للدكتور / محمد عبد العظيم الزرقاني في مثل هذا المقام :

قال عليه رحمة الله : والمسألة التي نحن بصددها مسألة نظرية ، والحكم في أمثالها يجب أن يكون لما رجح من الأدلة لا للهوى والشهوة ، ونحن إذ استعرضنا حجج هؤلاء ، وهؤلاء نلاحظ أن أدلة أميته صلى الله عليه وسلم قطعية يقينية ، وأن أدلة كونه كتب وخط بيمينه ظنية غير يقينية ، ولم يدع أحد أنها قطعية يقينية .

ثم إن التعارض ظاهر فيما بين هذه وتلك ، غير أنه تعارض ظاهري يمكن دفعه بأن نحمل أدلة أميته على أولى حالاته صلى الله عليه وسلم وأن نحمل أدلة كتابته على أخريات حالاته ، وذلك جمعا بين الأدلة ، ولا ريب أن الجمع أهدى سبيلا من إعمال البعض وإهمال البعض الآخر ، ما دام في كل منها قوة الاستدلال ، وما دام الجمع ممكنا على أية حال .

أما لو لم يمكن الجمع فلا مشاحة حينئذ في قبول القطعي ، ورد الظني لأن الأول أقوى من الثاني { وإن الظن لا يغني من الحق شيئا } النجم ٢٨

ثم قال : هذا هو الميزان الصحيح عند التعارض والترجيح فاحكم به عند الاختلاف والاشتباه .. اهـ [1]

قلت : إن ما سطره قلم العلامة الزرقاني رحمه الله تعالى من أن أدلة أميته صلى الله عليه وسلم قطعية ، وأن أدلة محو

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للدكتور/ محمد عبد العظيم الزرقاني ٣٦٦/١ - ٣٦٧ ط دار إحياء الكتب العربية مصر .

أميته صلى الله عليه وسلم ظنية والظني لا يعارض اليقين كلام جد عظيم .

غير أن قوله بعد ذلك بإمكانية الجمع ، يحمل أدلة أميته على أولى حالاته ، وأدلة قراءته وكتابته على أخريات حياته ، محل نظر .

لأن هذا القول هو عين ما قاله الفريق الأول ومن أجله خالفهم الجمهور حسبما وقفت فيما سبق عند مناقشة أدلة هذا الفريق .

فلو كان ذلك ممكنا ما كان هناك داع لكل هذه المساجلات النقاشية ، ولكن لما لم يكن ذلك كذلك حصل ما قد وقفت على بعضه من قبل .

وبالجملة : فإن أدلة أميته صلى الله عليه وسلم قطعية يقينية غير معارضة بمعارض يقوي على ذلك .

وعليه فالقول بأنه صلى الله عليه وسلم بقى أميا بمعنى لا يقرأ ولا يكتب حتى وفاته هو الراجح وهو الذي عليه جمهور العلماء .

قال الحافظ ابن كثير : وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحسن الكتابة ولا يخط سطرا ولا حرفا بيده ، بل كان له كتاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم .[1]

وقال القرطبي : هذا هو ـ يعني أميته ـ الصحيح في الباب ، وأنه ما كتب ولا حرفا واحدا ، وإنما أمر من يكتب ، وكذلك ما قرأ ولا تهجى .[2]

(١) تفسير ابن كثير ٤٢٧/٣

(٢) تفسير القرطبي ٣١٤/١٣

ونسب ابن حجر ذلك إلى الجمهور ، وأقره [١]

وحكم بقائه أميا صلى الله عليه وسلم منثورة فيما سبق تسطيره فراجعه،

ولولا خشية التطويل لعددتها لك في مقامنا هذا ، والله أعلم

* * *

[١] فتح الباري ٧/ ٥٠٤

الباب الثالث

منهج القرآن في محاربة الأمية

ويشتمل على مدخل وثلاثة فصول

المدخل :

الفصل الأول : حث القرآن على محو الأمية الهجائية بتعلم القراءة والكتابة

الفصل الثاني : حثه على تنمية التفكير والتدبر

الفصل الثالث : تصحيح المفاهيم

الباب الثالث

—

المدخل :

إذا كان محو الأمية — ولا سيما في العصر الحديث — قد أصبح ضرورة اجتماعية دعت إليه ضروريات التقدم والتطور — فعمدت الدول في شتى أنحاء العالم إلى وضع برامج قوية ومتنوعة لذلك ، ورصدت المبالغ الطائلة لتنفيذها لتلحق كل دولة بركب هذا التطور والتقدم — وهذا لا شك أمر محمود .

فإن ديننا الحنيف ومنذ طلوع فجره ، وإشراق شمسه على الوجود ، قد دعا إلى ذلك في وضوح فحارب الأمية في شتى صورها ، وطفق يرفع من شأن القراءة والكتابة ، والثقافة بعامة، ويحث عليها بشتى الأساليب ، ويعلي من قدرها ، ويرفع من مكانتها ، مع ربطه كل ذلك بالدين ، وفي ذلك من الترغيب ما فيه .

من هنا بات محو الأمية في الإسلام ضرورة دينية إلى جانب كونه ضرورة اجتماعية .

وبما أن الأمية ظاهرة مركبة ولا يمكن الفصل منهجيا بين مظاهرها وصورها المختلفة تلك التي وقفت عليها من قبل عند التعريف بالأمية — فإنه لا يلزم أن يبدأ محو الأمية بالترتيب التطوري بمعنى محو الأمية الهجائية أولا ، ثم الوظيفية ثانيا ، ثم الحضارية ثالثا ، وهكذا ، فهذا وإن كان في نظر السياسات التعليمية البشرية هو ما ينبغي أن يكون ، إنما هو يصلح مع الصغار لا مع الكبار .

لأن محو الأمية إذا أطلق فإنما يراد به محو أمية الكبار ، أما الخلط بين برامج تعليم الصغار ، وبرامج محو أمية الكبار ، وجعلهما شيئا واحدا فهذا لا شك خطأ جسيم يقع فيه المعنيون بذلك ، خاصة في بلادنا العربية حيث يسلكون في محو أمية

الكبار نفس منهج تعليم الصغار دون وضعهم في الاعتبار الفوارق الكثيرة بين الطرفين .

لذا رأينا ديننا يؤسس لمنهج عظيم ، بل وفريد في التعاطي مع هذه القضية فبدأ — على ما يقول الدكتور/ علي مدكور — بالكبار من المستوى الحضاري حيث بدأ تصحيح المفاهيم في نفوسهم وتنقيتها من الشوائب كالمفاهيم المتعلقة بالعقيدة والمتعلقة بالعبادة ، والحرية والشورى والحضارة والثقافة .. الخ .

ومن خلال هذا العمل ، وفي أثنائه يأتي التدريب على المهارات الهجائية، والتقائية المتصلة بالجانب الوظيفي وليس العكس كما هو حادث .اهـ

وبعد : فإن الإسلام بطبيعته يفرض على الأمة التي تعتنقه أن تكون أمة مثقفة مدركة واعية ، لذا نراه يحض معتنقيه وبشتى الأساليب على التعلم والتدبر والتفكر وتحصيل المعرفة ، وتنمية قدراتهم المختلفة للرقى والنهوض بأمتهم ، وعمارة الأرض ، وترقية الحياة على ظهرها .. الخ .

وهذه الأساليب التي سلكها من أجل محو أمية المسلمين في كل هذه الجوانب سيأتيك نبؤها — بعون الله تعالى — من خلال الفصول الآتية .

* * *

الفصل الأول

حث القرآن على محو الأمية الهجائية بتعلم القراءة والكتابة

إن القرآن الكريم ومنذ اللحظة الأولى ، ومع نـزول أول آياته على النبي محمد صلى الله عليه وسلم نراه يحض على تعلم القراءة .

قال تعالى : { اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسـان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم علم الإنسان مـا لم يعلم } العلق ١ـ٥

والتكرار في الأمر بالقراءة يعني أن العلـوم والمعـارف متجددة ونامية ، ومستمرة ، لذا ينبغي ملاحقتها .

فمن قرأ أولا لتزول أميته الهجائية ، فليواصل القراءة بعد ذلك لمواكبة التطورات والمتغيرات ، فالإنسان ـ كما يقول ابـن خلدون ـ جاهل بالذات عالم بالكسب .[1] فمن اجتهد وقـرأ زال جهله ، ومحيت أميته .

وتفيدنا الآيات السابقة ـ أيضا ـ أن تحصيل المعـارف والتنمية الثقافية لا يكون بالقراءة فحسب ، وإنما بالكتابة ـ أيضا ـ { تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى } البقرة ٢٨٢ حيـث قال الله تعالى { علم بالقلم } .

ثم ألا ترى إلى قوله تعالى { وما كنت تتلو من قبله مـن كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون } العنكبوت

والمعنى لو أنك يا محمد كنت تقرأ وتكتب لقال القـوم إن ما جاء من معارف إنما حصله بإجادته القراءة والكتابة . وهذا

(١) مقدمة ابن خلدون ٨٤٧/٢ ط دار الكتاب اللبناني

يعني أن من وسائل التنمية المعرفية تفعيل ممارسة مهارة الكتابة إلى جانب القراءة .

ولما كان للكتابة هذا الشأن أقسم الله تعالى بها وبأدواتهـا فقال تعالى {ن والقلم وما يسطرون } القلم ١ ـ ، وفي الإقسـام بهما ـ على ما يقول المراغي رحمه الله تعالى ـ فتح لأبـواب التعليم بهما .[1]

ولعل فيما جاء في أوائل بعض السور القرآنية المبـدوءة بالحروف المقطعة من نطقها بطريقة التهجي هكذا ـ ألف ـ لام ـ ميم ـ مثلا تعليم لتلك الأمة كيفية تهجي الكلمة ، والجملة من الكلام ، والتهجي هو أول طريق التعلم ـ كما هو عليه الحال في مراحل التعليم الأولى .

وفي ذلك ـ أيضا ـ تعليم كيفية نظم الكـلام مـن تلـك الحروف ، لذا كان التحدي بهذه الحروف المقطعة للمشـركين ، وليس المقام هنا مقام بسط لهذه المسألة .[2]

من هنا رأينا التزام الرسول صلى الله عليه وسـلم بهـذا الأمر استجابة للأمر والتوجيه الإلهي .

فقد أمر صلى الله عليه وسلم ـ كما ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب ـ عبد الله بن سعيد بن العاص وكان كاتبا محسـنا أن يعلم الناس الكتابة بالمدينة .[3]

وفي سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت قال : علمـت ناسا من أهل الصفة الكتابة والقرآن "[4]

(١) تفسير المراغي ٢٧/٢٩ ، ط دار إحياء التراث بيروت .
(٢) لمزيد من المعلومات عن الحروف المقطعة راجع بحثنا (الحروف المقطعة في أوائل بعض سور القرآن) مصدر سابق .
(٣) انظر : أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للشنقيطي ٣٥٦/٩ ، عالم الكتب بيروت .
(٤) ك الإجارة ، ب ٣٦ في كسب المعلم ٧٠١/٣ موسوعة السنة ، وسنن ابن ماجة ك التجارات ب ٨ برقم ٢١٥٧

ومن ذلك ــ أيضا ــ ما جاء في أسارى بدر حيث كانت مفادات من لا يقدر على دفع المال وهو متعلم بأن يعلم عشرة من الصبيان الكتابة [١]

وبهذا صارت القراءة والكتابة عديلين للحرية .

ومن ذلك ما رواه أحمد وأبو داود عن الشفاء بنت عبد الله قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة فقال لي : [ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة] .

وإلى جانب ذلك هناك حديث رواه الطبراني في الكبير حسبما ذكر الهيثمي يعتبر وبحق أول إعلان من نوعه لمحو الأمية أطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تعقله المدنية الحديثة .

قال صلى الله عليه وسلم : [ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ، ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم] .

وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ، ولا يتفقهون ، ولا يتعظون ، والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ، ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة ..... الحديث] .

قال الهيثمي فيه بكير بن معروف ضعفه البخاري ، ووثقه أحمد ، وقال ابن عدي أرجو أنه لا بأس به . [٢]

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣٢٨/٣ ط ١٩٧٨م دار الفكر بيروت .
(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ، ك العلم ، ب في تعليم من لا يعلم ١٦٩/١

ومن هذا الحديث ومما سبق ــ أيضا ــ يتضح لنا كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم وانطلاقا من استجابة للأمر الإلهي أعلن الحرب على الأمية بشتى صورها .

فقد استنكر صلى الله عليه وسلم بقاء الجهلة على جهلهم ، وامتناع المتعلمين عن تعليمهم ، واعتبر ذلك عصيانا لأوامر الله ومنكرا يوجب العقاب في الدنيا .

وأنذر الفريقين العالم والجاهل بالعقاب حتى يبادروا بالتعليم والتعلم وبذلك يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد أسس حق غير المتعلم في التعلم وواجب المتعلم تجاه الأميين ، ودور الحاكم في فرض ذلك .

وهذه سياسة تعتبر ــ وبحق وبدون تحيز ــ منتهى ما يمكن أن تصل إليه الهمم في تحرير شعب أمي من رق الأمية .

واستجاب لذلك أصحابه صلى الله عليه وسلم ، ورضى الله عنهم أجمعين فانطلقوا يتعلمون ويعلمون حتى أخذت ظلمات الأمية تتلاشى شيئا فشيئا ، ويحل محلها نور العلم .

فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول : ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه . [٢] إلى غير ذلك من المواقف التي يطول سردها .

ومن سياسة القرآن الكريم في هذا المجال : الحث على الرحلة في طلب العلم إن لم يتوفر للمرء طلبها في بلده حتى لا يكون هناك أي مظهر من مظاهر الأمية .

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ك فضل الصحابة ب فضل ابن مسعود حديث رقم ٥٩٩ ب ٣ ص ٤١٩

قال تعالى : { فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون } التوبة ١٢٢

وبهذا طوى الإسلام البعد المكاني بالنسبة للتعليم فدعا إلى طلبه في أي مكان كما ألغى البعد الزماني له فمد مساحته على مدى الحياة ، بحيث يطلب من المهد إلى اللحد .

وفي كل ما سبق أكبر الدليل على أن الإسلام دين الحضارة ، والرقى ، والمدنية ، والتقدم .

* * *

الفصل الثاني
حث القرآن على تنمية التفكير والتدبر

—

إن الناظر في آيات القرآن الكريم يلحظ مدى اهتمامه بهذا الأمر ويتضح ذلك من خلال الآتي :

أولا : حثه على النظر في الكون في الآفاق والأنفس قال تعالى: { سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق... } فصلت ٥٣

وقال تعالى : { قل انظروا ماذا في السموات والأرض... } يونس ١٠١

وقال تعالى: { وفي أنفسكم أفلا تبصرون } الذاريات ٢١

والمراد بالنظر هنا وفي أمثاله ــ كما لا يخفى ــ نظر التفكر والاعتبار

ثانيا : ثناؤه على المتفكرين :

قال تعالى : { إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون } النحل ١١

وقال تعالى : { إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب } آل عمران ١٩٠

ولما كانت الآيات في هذا المقام كثيرة ، رأيت الاكتفاء بهذين النموذجين

ثالثا : نعيه على من يعطل حواسه وطاقاته المدركة عن التفكير والتدبر :

قال تعالى : { ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا

يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون } الأعراف ١٧٩

فالغافلون هنا لهم حواس ، وأجهزة سليمة من حيث تركيبها العضوي وبالرغم من هذا فهم غافلون ، ومأواهم جهنم ، لأن حواسهم لا تؤدي وظيفتها وبذلك فهي لا تعين الإنسان على أداء وظيفته التي خلق من أجلها ، وهي عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله . وهنا يأتي ــ كما يقول الدكتور علي مدكور ــ دور منهج التربية الإسلامية في تربية الحواس عن طريق التفكر والتدبر ، وفي إيقاظ المجتمع وإثارة وعيه بضرورة الرقى ومواجهة المتغيرات ، وتوجيه النافع منها في عمارة الحياة عن طريق ترقية أنماط الاعتقاد ، والسلوك ، والعمل . اهـ [١]

قال تعالى : { والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون } النحل٧٨

إن هذه الكلمات الثلاث [السمع ــ البصر ــ الفؤاد] لم ينزل بها الوحي في كتاب الله تعالى لتعني فقط مجرد القدرة على السمع والرؤية والتفكير على ما يقول ــ أبو الأعلى المودودي رحمه الله تعالى ــ لأن [السمع] معناه هنا استخدام هذه الطاقة بفاعلية ، وكفاءة لإحراز العلم والمعرفة التي اكتسبها الآخرون ، و [البصر] معناه تنميتها بما يضاف إليها من ثمرات الملاحظة والتجربة والبحث ، و [الفؤاد] معناه تنقيتها من أدرانها ، وأوشابها، ثم استخلاص النتائج منها وتقويمها وترقيتها .

إن هذه القوي الثلاث [السمع ــ البصر ــ الفؤاد] إذا ما تضافرت بعضها إلى بعض نجم عنها ذلك " العلم ، وتلك ،

(١) نظريات المناهج مصدر سابق ص ١٦١

المعرفة " اللذان من الله بهما على بني آدم وبهما استطاع الإنسان أن يتعامل مع سائر المخلوقات ، ويسخرها لإرادته .

ولو أردت التعمق في تأمل هذه الحقيقة لاهتديت في النهاية إلى أن هؤلاء الذين لا يستخدمون هذه [القوى] أو يستخدمونها في حدود ضيقة هم الذين كتب عليهم العيش في حالة من التأخر والانحطاط تحت كنف الآخرين وسلطانهم ، أما الذين يوظفون هذه [القوي] بكفاءة وفاعلية فهم ــ على العكس ــ يظفرون بالسيادة والسيطرة ، وهم الذين يصبح لهم حق قيادة البشرية وتوجيهها . اهـ [١]

ومجمل القول : إن زعامة الجنس البشري ، والأخذ بقياده إلى الخير أم إلى الشر إلى الجنة أم إلى النار ، من نصيب هؤلاء الذين يتفوقون على سواهم في الانتفاع بنعم السمع والبصر والفؤاد ، تلك سنة الله في الخلق {ولن تجد لسنة الله تبديلا } وأيما جماعة من البشر ــ بغض النظر عن كونها ربانية مؤمنة أو كافرة ملحدة تحقق الغاية من هذه المنح الإلهية ، فإنها من غير شك تتولى زعامة غيرها من الشعوب ، فإن لم تفعل فلا تصبح حينئذ مرغمة على الاتباع فحسب ، ولكنها في الغالب تجبر على الطاعة والإذعان [٢] .

* * *

(١) المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم لأبي الأعلى المودودي ص ٧ ط ٢ المكتب الإسلامي بيروت ، نقلا عن نظريات المناهج ص ١٧٥
(٢) المصدر السابق ص ١٧٦

الفصل الثالث
تصحيح المفاهيم

لقد بدأ منهج الله للبشرية بالكبار وبدأ بهم من المستوى الحضاري فعمد إلى تصحيح المفاهيم في نفوس الكبار وتنقيتها من الشوائب مثل :

١ــ تصحيح المفاهيم حول حقيقة الألوهية :

وذلك بإفراد الله تعالى بالتوحيد قال تعالى : { فاعلم أنه لا إله إلا الله} محمد ١٩ وقال تعالى : { وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون } الأنبياء ٢٥

لقد بدأ بتأسيس العقيدة في نفوسهم بأمثال هذه النصوص ، بعد أن محي كل الخرافات والأوهام والمعتقدات الباطلة السائدة لديهم . من أمثال الشرك ، والتنجيم ، والكهانة ، ونحو ذلك .

قال تعالى : { ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق } الحج ٣١

وقال تعالى : { قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ..} النمل ٦٥

وأخبرهم بأن الرزق ، والضر ، والنفع ، كل ذلك منه سبحانه

قال تعالى : { هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون } فاطر ٣

وقال تعالى : { ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم } فاطر ٢

وقال تعالى : { وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم } يونس ١٠٧

. . .

٢ــ وبالتالي فالعبودية لا تكون إلا لله تعالى { بل الله فاعبد وكن من الشاكرين } الزمر ٦٦

وقال تعالى : { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } الذاريات ٥٦

٣ــ الكون بكل ما فيه من خلائق مربوب لله عز وجل خاضع لإرادته عابد له، مسخر لأمره ، لا تتصادم ولا تتعارض أجزاؤه، وفي ذات الوقت دعاهم إلى اكتشاف أسراره .

قال تعالى : { الله الذي خلق السموات وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار .. } إبراهيم ٣٢ ــ ٣٣

وقال تعالى : { ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره .. } الروم٢٥

وقال تعالى : { لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون } يس ٤٠

. . .

٤ــ أخبرهم القرآن بأن الحياة الدنيا إلى زوال ، وأن هناك حياة أخرى دائمة تعقبها فيها يحاسب الناس على أعمالهم في الحياة الدنيا ، عكس ما كان يظن الجاهليون بأن الحياة الدنيا كل شئ وأنه لا بعث ولا حياة بعد الموت .

قال تعالى:{ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور } الحديد٢٠

وقال تعالى عن الكفار : { وقالوا ما هي إلا حياتنا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ٠٠ } فرد الله عليهم فقال : { وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون} الجاثية ٢٤ ورد عليهم ــ أيضا ــ بقوله تعالى : { قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون } الجاثية ٢٦

٥ــ أما عن الإنسان فهو في التصور الإسلامي خليفة الله في الأرض ، ولذا فهو مكرم ما دام يحقق العبودية لخالقه ، سخر الله له الكون ، وأمره بإعماره قال تعالى : { وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة٠٠ } البقرة ٣٠ وقال تعالى : {ولقد كرمنا بني آدم ٠٠٠ } الإسراء ٧٠

وقال تعالى : { وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ٠٠٠ } الجاثية ١٣

وقال تعالى : { هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ٠٠ } هود٦١

٦ــ كذلك خلق هذا الإنسان مكونا من مادة وروح ، ومزودا باستعدادات متساوية للخير والشر ، قال تعالى : { وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين } ص ٧١ ــ ٧٢

وقال تعالى : { ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها } الشمس ٧ ــ ٨

٧ــ كذلك وضع القرآن لهذا الإنسان منهج التعامل مع من حوله في شتى أموره ، والآيات في هذا المقام كثيرة ، ولولا خشية التطويل لسردتها لك ، لكن ثقتي في علمك بها جعلني أكتفي بالإشارة إليها فقط ٠

وبعد : فقد بدا واضحا لكل ذي بصر ــ من خلال ما وقفنا عليه من منهج القرآن في التعامل مع هذه القضية ــ أن التصور الإسلامي لتعليم الكبار ومحو أميتهم تصور حضاري شامل ٠

فقد رأيناه يصحح لهم المفاهيم عن كل شئ ، في الوقت الذي لا يزال فيه بعضهم أميا هجائيا ٠

فالأمية ظاهرة مركبة ، وصورها متداخلة في بعضها ، فالتعامل معها بمفهوم محو الأمية التطوري من الهجائية أولا ثم ما بعد ذلك ، غير مجد بالمرة ، لذا لا نراه واردا في التصور الإسلامي الذي بدأ مع الكبار بما سبق لك الوقوف عليه وفي أثناء ذلك يأتي التدريب على محو الأمية الهجائية ٠ وتميز هذا المنهج يتمثل في أنه آتي ثماره في زمن قياسي ٠

وسيتضح لك ذلك أكثر من خلال ما ستقف عليه بعد إن شاء الله تعالى من أهداف محو الأمية فترقبه رعاك الله ٠

أقول : في كل ما تقدم أبلغ الرد على من يزعمون أن من أسباب تخلف المسلمين ــ والعرب منهم خاصة ــ تمسكهم بقرآنهم ٠

والحق أن هذا القول مجاف للصواب تماما ٠ فها نحن قد رأينا كيف يعلم القرآن المسلمين ، وكيف يحضهم على العلم ، والتحضر ويحملهم على ذلك حملا ٠

* * *

الخاتمـــة
وتشتمل على ثلاثة محاور ، والفهارس

—

المحور الأول : ــ أهداف محو الأمية

١ــ التصور الحقيقي والصحيح لمفهوم الألوهيـة ، والكـون ، والحياة ، والإنسان

٢ــ التصور الحقيقي لمفهوم العبودية

٣ــ عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها

٤ــ القدرة على مواجهة المتغيرات

٥ــ المساهمة في بناء المجتمع المتحضر الإسلامي

٦ــ استعادة وحدة الأمة ، وتميزها ، وقيادتها الإنسانية إلى بـر النجاة

٧ــ القدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٨ــ القدرة على القراءة والكتابة والحساب بمهارة تخدم في كـل ما سبق

المحور الثاني : نتائج البحـث

١ــ مفهوم الأمية ليس قاصرا على عدم القدرة علـى القـراءة والكتابة ، وإنما هو أوسع من ذلك ، فهناك الأمية الوظيفية ، والثقافية ، والحضارية ... الخ

٢ــ للأمية أسباب عدة ، منها : اقتصادية ، ومنهـا تربويـة ، ومنها أخلاقية ، ومنها : دينية نفسية .. الخ

٣ــ الموصوفون بالأمية في القـرآن هـم : بعـض اليهـود ، والعرب ، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم وفي كل صنف لها معنى معين ، ففي الصنف الأول تعنى عدم الفهم والتدبر لما يقرأون ، وفي الصنف الثـاني ، تعنـي مـن لا كتـاب سماوي لهم ، فهم في مقابل أهل الكتاب وفي الصنف الثالث : تعنى عدم القدرة على القراءة والكتابـة أي القـراءة مـن

مكتوب مع بقاء صلى الله عليه وسلم على ذلك حتـى لقـاء ربه ، فكان ذلك في حقه معجزة محضة .

٤ــ كان في العرب قبل مجئ الإسلام جماعة يقرأون ويكتبون ، وكانت القراءة والكتابة منتشرة بصورة ملحوظة وإلى حد ما

٥ــ تميز القرآن في علاج الأمية بمنهج فريد شامل يعالجها في شتى صورها في آن واحد ، وهي سياسة آتت ثمارها فـي زمن قياسي ، عكس المنهج الوضعي الذي إن عـالج فـي جانب قصر في معظم الجوانب الأخرى لأنه يسلك المـنهج التطوري

المحور الثالث : التوصيات

١ــ تكوين هيئات متخصصة تقوم بهذه المهمة ــ أعنـي محـو الأمية ــ في شتى صورها ودعوة القادرين علـى التطـوع لذلك وإفهامهم أنه واجب ديني

٢ــ دعوة الأميين للتعليم ، وإيجاد حـوافز فرديـة وجماعيـة مشجعة وإفهامهم أن ذلك منـاف للإسـلام ، فضـلا عـن حرمانهم من نعم كثيرة .

٣ــ إعانة الراشدين الذين لم تتح لهم فرصـة إتمـام تعلـيمهم لأسباب مختلفة على إتمام ذلك التعليم وذلك بتصميم بـرامج تدريب لهم حتى في مقار أعمالهم .

٤ــ العمل على إحياء رسالة المسجد بحيث يكون كما كان مـن قبل مدرسة تعليم إلى جانب كونه مكانا للعبادة .

٥ــ العمل على إقامة المجتمع الإسلامي بكل سماته لأنه مجتمـع بطبيعته يحارب الأمية في شتى صورها ، ويعمل على نشر العلم

٦ــ اهتمام الحكام كل في بلده بمتابعة ذلك .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،

المؤلـــف

الفهـــارس

أولا : فهرس المراجع :

كتب التفسير وعلوم القرآن :

١ــ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ٠ ط عالم الكتب بيروت

٢ــ تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ، ط دار ابن حزم بيروت

٣ــ تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ط ٩ دار المعرفة بيروت

٤ــ تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ط أولى دار الكتاب العربي بيروت

٥ــ تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ط الدار السلفية بومباي الهند

٦ــ تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور

٧ــ تفسير المنار الرشيد رضا ط ٢ دار المعرفة بيروت

٨ــ تفسير المراغي ط دار إحياء التراث العربي

٩ــ محاسن التأويل للقاسمي ط ٢ دار الفكر بيروت

١٠ــ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي ٠ ط المكتبة العلمية بيروت

١١ــ البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي ٠ ط دار المعرفة بيروت

١٢ــ الحروف المقطعة في أوائل بعض السور القرآنية د/ عبد الله الشمندي عبد الله ٠ ط أولى

١٣ــ رسم المصحف ودفع الشبهات التي أثيرت حوله د/ عبد الفتاح عبد الغني محمد ٠ ط أولى

١٤ــ مناهل العرفان في علوم القرآن للدكتور/ محمد عبد العظيم الزرقاني ٠ ط دار إحياء الكتب العربية بيروت

١٥ــ مواهب الرحمن في علوم القرآن د/ عبد الفتاح عبد الغني محمد٠ ط أولى كتب الحديث وشروحه ٠

١٦ــ صحيح البخاري٠ موسوعة الحديث الشريف للكتب الستة ٠ ط دار السلام للنشر والتوزيع

١٧ــ صحيح مسلم ٠ موسوعة الحديث الشريف للكتب الستة ٠ ط دار السلام للنشر والتوزيع

١٨ــ سنن أبي داود٠ موسوعة الحديث الشريف للكتب الستة ٠ ط دار السلام للنشر والتوزيع

١٩ــ سنن الترمذي ٠ موسوعة الحديث الشريف للكتب الستة ٠ ط دار السلام للنشر والتوزيع

٢٠ــ سنن ابن ماجة ٠ موسوعة الحديث الشريف للكتب الستة ٠ ط دار السلام للنشر والتوزيع

٢١ــ سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ٠ ط أولى مكتبة المعارف الرياض

٢٢ــ مجمع الزوائد للهيثمي ط : مؤسسة المعارف بيروت

٢٣ــ مسند الإمام أحمد

٢٤ــ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٠ لمحمد فؤاد عبد الباقي٠ ط دار الثريا الرياض

٢٥ــ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ط ١٣٢٦هـ

٢٦ــ صحيح مسلم بشرح النووي ط أولى دار الكتاب العربي بيروت

٢٧ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ط دار المعرفة بيروت

كتب السير والتاريخ :

٢٨ــ البداية والنهاية لابن كثير ط ١٩٧٨ م دار الفكر بيروت

٢٩ــ سيرة ابن هشام تحقيق مصطفى السقا ٠ دار إحياء التراث العربي بيروت

٣٠ـ فقه السيرة د/ محمد سعيد رمضان البوطي ط ١١ دار الفكر المعاصر بيروت

كتب المعاجم :

٣١ـ لسان العرب لابن منظور ط دار صادر بيروت

٣٢ـ المعجم الوسيط ط مجمع اللغة العربية

٣٣ـ الموسوعة العربية العالمية ط أولى مؤسسة أعمال الرسالة

كتب اللغة والأدب وتاريخ الأدب

٣٤ـ أصول الكتابة العربية د/موافي وآخرين ط ١٩٩٢م

٣٥ـ تاريخ الأدب العربي د/ أحمد حسن الزيات ط ٤ دار المعرفة بيروت

٣٦ـ الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس مكتبة المعارف بيروت

٣٧ـ الأدب العربي قضاياه وأغراضه د/ غازي طليمات ط دار الإرشاد حمص

٣٨ـ العصر الجاهلي د/ شوقي ضيف ط ٨ دار المعارف بالقاهرة

٣٩ـ البيان والتبيين للجاحظ ط ٢ دار مكتبة الهلال بيروت

٤٠ـ العقد الفريد لابن عبد ربه ط دار الفكر بيروت

٤١ـ العرب في العصور القديمة د/ لطفي عبد الوهاب ط دار النهضة العربية بيروت

كتب أخرى عامة

٤٢ـ أزمة التعليم المعاصر د/ زغلول النجار ط أولى الدار العالمية للكتاب الإسلامي

٤٣ـ دلالة الألفاظ د/ إبراهيم أنيس ط ٧ مكتبة الأنجلو المصرية

٤٤ـ مجموع الفتاوي لابن تيمية ط أولى

٤٥ـ مقدمة ابن خلدون ط دار الكتاب اللبناني

٤٦ـ المدخل إلى الثقافة الإسلامية د/ محمد رشاد سالم ط ٩ دار القلم الكويت

٤٧ـ نظريات المناهج العامة د/ على أحمد مدكور ط أولى دار الفرقان الأردن

تابع كتب التفسير وعلوم القرآن

٤٨ـ تفسير الكشاف للزمخشري ط دار المعرفة بيروت

٤٩ـ تفسير العلامة أبي السعود ط دار الفكر بيروت

٥٠ـ تفسير النسفي

٥١ـ تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني ٠ ط دار الحكمة دمشق

* * *

ثانيا : فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمة	
الباب الأول : حقائق عامة عن الأمية	
الفصل الأول :تعريفها	
الفصل الثاني :نسبتها	
الفصل الثالث :أسبابها	
الفصل الرابع :ورودها في القرآن والأوجه التي جاءت عليها	
الفصل الخامس:الأمية والجهل	
الباب الثاني : الموصوفون بالأمية في القرآن	
الفصل الأول :بعض أهل الكتاب والأمية	
المسألة الأولى :الدليل على أميتهم	
المسألة الثانية :المراد ببعض أهل الكتاب في الآية	
المسألة الثالثة :المراد بأميتهم في الآية	
المسألة الرابعة: تفريع على ما سبق	
الفصل الثاني : العرب والأمية	
المسألة الأولى :الأدلة القرآنية على وصفهم بالأمية	
المسألة الثانية :حال الكتابة والقراءة عند العرب قبل الإسلام	
تفريع :	مصدر الكتابة والخط العربي
المسألة الثالثة :	المراد بالأمية الموصوف بها العرب
الفصل الثالث :	النبي محمد صلى الله عليه وسلم والأمية
المسألة الأولى :	الأدلة القرآنية على أميته صلى الله عليه وسلم
المسألة الثانية :	معنى أميته صلى الله عليه وسلم ، والفهم الخاطئ من البعض لها

المسألة الثالثة :	في كونه صلى الله عليه وسلم قرأ وكتب بعد النبوة أم لا
القائلون بكونه صلى الله عليه وسلم قرأ وكتب وأدلتهم	
القائلون ببقائه على أميته صلى الله عليه وسلم حتى وفاته وأدلتهم	
مناقشة كل فريق	
تنبيه ، وتعقيب	
الباب الثالث :منهج القرآن في محاربة الأمية	
المدخل :	
الفصل الأول:حث القرآن على محو الأمية الهجائية	
الفصل الثاني:حثه المخاطبين على تنمية التفكير والتدبر	
الفصل الثالث:تصحيح المفاهيم لدى المخاطبين	
الخاتمة :	
أهداف محو الأمية :	
نتائج البحث	
التوصيات	
فهرس المراجع	
فهرس الموضوعات	